

التَّوْحِيدُ كَيْفَ نَحْقُقُهُ

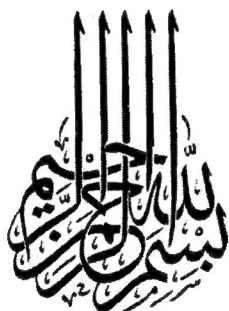
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ

عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْلِ

رَحِمَهُ اللَّهُ



مَدَارُ الْوَحْيِ لِلنَّشْرِ



التَّوَجُّدُ كَيْفَ نَحْقُقُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



دار الوطن للنشر

الرياض. الملز

الدائري الشرقي مخرج ١٥

٢ كم غرب إسواق المجد

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١. ص ب: ٣٣١٠ رمز بريدي: ١١٤٧١

فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧، فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧

منطقة الرياض: ٥٠٣٢٦٩٣١٦

المنطقة الغربية: ٥٠٤١٤٣١٩٨

المنطقة الشرقية: ٥٠٣١٩٣٢٦٨

المنطقة الشمالية والقصيم: ٥٠٤١٣٠٧٢٧

التوزيع الخيري للمنطقتين الشرقية والجنوبية: ٥٠٨٣٩٩٨٥٧

التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة: ٥٠٦٤٣٦٨٠٤

التسويق للجهات الحكومية والمكتبات الخارجية والمعارض: ٥٠١٧٣٧٧٣٩، ٠١٤٧٣٨١٧٢

البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com
موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

وجوب عبادة الله وحده وبيان أسباب النصر على الأعداء^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله
حبه أجمعين، أما بعد:

فإن أهم واجب على المكلف وأعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه
السموات والأرض ورب العرش العظيم القائل في كتابه الكريم:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسْخَرَاتٍ بِأَمْرِ
لَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأعراف: ٥٤].

وأخبر سبحانه في موضع آخر أنه خلق الثقلين لعبادته فقال عز وجل:
يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ لِلْعَبْدَةِ ﴿[الذاريات: ٥٦].

وهذه العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها هي توحيده، بأنواع العبادة
الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح
وغير ذلك، والخوف والرجاء والاستغاث والاستعانة والاستعاذة، وسائر
عبادات الدعاء، ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في أوامره، وترك نواهيه،
وما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل
سنة والتسليم، وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التي

خلقوا لها، وأرسل الرسل جميعاً وأنزل الكتب لبيان هذه العبادات وتفصيلها والدعوة إليها والأمر بإخلاصها لله وحده، كما قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَمَعْنَى «قَضَى» في هذه الآية: أمر وأوصى وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْأَىٰ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ سَبِيلُ الْأَقِيمَةِ﴾ [البينة: ٥]. والآيات في هذا المعنى في كتاب الله كثيرة. وقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] الآية. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿الرَّكَتَبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
عَبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكَرِمنَهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١-٢].

فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها من كتاب الله كلها تدل
سواءً على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن ذلك هو أصل الدين،
سواءً على أن الملة كما تدل على أن ذلك هو الحكمة في خلق الجن والإنس
سواءً على الرسل، وإنزال الكتب، فالواجب على جميع المكلفين العناية
بالأمر والتفقه فيه، والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى
سلام من الغلو في الأنبياء والصالحين، والبناء على قبورهم واتخاذ
ساجد والقباب عليها، وسؤالهم والاستغاثة بهم، واللجوء إليهم
وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكرب وشفاء المرضى والنصر
في الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر، وقد صحَّ عن رسول
ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عزَّ وجلَّ، ففي الصحيحين عن معاذ
بن عبد الله أنه قال له: «أتدري ما حقُّ الله على العباد؟»، وحقُّ
الله على الله»، فقال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم. فقال النبي ﷺ:
«حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقُّ العباد على الله
أن يعذب من لا يشرك به شيئاً»^(١) الحديث، وفي صحيح البخاري عن

رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار،
رقم (٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على
التوحيد دخل الجنة، رقم (٣٠).

ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من مات وهو يدعو الله دخل النار»^(١). وخرَّج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك دخل النار»^(٢)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذه المسألة هي أهم المسائل وأعظمها، وقد بعث الله نبيه محمداً بالدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك، فقام بتبليغ ما بعثه الله به الصلاة والسلام أكمل قيام وأوذي في الله أشد الأذى، فصبر على ذلك وصبر معه أصحابه رضي الله عنهم، على تبليغ الدعوة حتى أزال الله الجزيرة العربية جميع الأصنام والأوثان، ودخل الناس في دين أفواجا، وكسرت الأصنام التي حول الكعبة وفي داخلها، وهدمت الأوثان والعزى ومناة، وكسرت جميع الأصنام التي في قبائل العرب، وهدت الأوثان التي لديهم، وعلت كلمة الله وظهر الإسلام في الجزيرة العربية ثم توجه المسلمون بالدعوة والجهاد خارج الجزيرة، وهدى الله بهم سبقت له السعادة من العباد، ونشر الله الحق والعدل في غالب أرض

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾، رقم (٤٤٩٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قومه، رقم (١٢٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، رقم (٩٣).

معمورة، وصاروا بذلك أئمة الهدى وقادة الحق، ودعاة العدل وإصلاح وسار على سبيلهم من التابعين وأتباعهم بإحسان، أئمة الهدى دعاة الحق، ينشرون دين الله ويدعون الناس إلى توحيد الله ويجاهدون سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، لا يخافون في الله لومة لائم، فأيدهم الله صرهم وأظهرهم على من ناوأهم، ووفى لهم بما وعدهم به في قوله بحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرَكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقوله عز وجل: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ] [الحج: ٤٠-٤١].

ثم غير الناس بعد ذلك وتفرقوا وتساهلوا بأمر الجهاد، وآثروا الراحة واتباع الشهوات، وظهرت فيهم المنكرات إلا من عصم الله بحانه، فغير الله عليهم وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا وما ربك للام للعبيد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [عد: ١١].

فالأوجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الرجوع إلى الله بحانه، وإخلاص العبادة له وحده والتوبة إليه مما سلف من تقصيرهم فنيوبهم، والبدار بأداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض، والابتعاد عما لم عليهم، والتواصي فيما بينهم بذلك والتعاون عليه.

وَمِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَحْكِيمُ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي

كل شيء، والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله، وعدم التحاكم إليها، وإلزام جميع الشعوب بحكم الشرع، يجب على العلماء تفتيته الناس في دينهم، ونشر التوعية الإسلامية بينهم، والتواصي بالحق والصبر عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشجيع الحكام على ذلك كما يجب محاربة المبادئ الهدية من شيوعية واشتراكية وبعثية. وتعصب للقوميات وغيرها من المبادئ والمذاهب المخالفة للشريعة، وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان فاسداً، ويرد لهم ما كان شارباً، ويعيد لهم مجدهم السالف، وينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم في الأرض، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُقِيمُ الْأَشْهَادَ﴾ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

والله المسؤول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم، و يمنحهم الفقه في الدين، ويجمع كلمتهم على التقوى، ويهديهم جميعاً.

راطه المستقيم، وينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، وأن يوفقهم
سعيًا للتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، إنه
بذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وخيرته من
نبيه وإمامنا سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن
يؤتى بهداه، إلى يوم الدين.

* * *

التوحيد وأنواعه^(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على
رسوله ورسوله وخليفه وأمينه على وحيه، وصفوته من خلقه، نبينا
وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله،
مقتدى بهداه إلى يوم الدين.

أيها الإخوة في الله: سمعنا جميعًا من سورة الحشر، سمعنا آيات
يُمَاتُ فِيهَا عِبْرَةٌ وَذِكْرٌ، يقول الله جل وعلا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
[حشر: ١٨]، إلى آخر السورة، ومن المعلوم أن كتاب الله عز وجل من أوله
آخره، فيه الذكر وفيه الدعوة إلى كل خير، وفيه التذكير بأسباب

(١) محاضرة أُلقيت في جامعة أم القرى بالمركز الصيفي وهي ضمن مجموع فتاوى
ومقالات متنوعة (٢٨/١ - ٤٩) [بتصرف].

النَّجاة والسَّعادة، وفيه العِظة والترغيب والترهيبُ.

فجديرٌ بالمسلمين جميعاً أن يعتنوا بتدبره وتعقله، وأن يكثروا من تلا معرفة ما أمر الله به وما نهى عنه، حتى يعلم المؤمن ما أمر الله به فيمثم ويتعد عما نهى الله عنه.

فكتاب الله فيه الهدى والنور، وفيه الدلالة على كل خير، والتحذير من كل شرٍّ، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والتحذير من سيِّء الأخلاق، وسيِّء الأعمال، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ أَلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] أي إلى الطريقة والسَّبيل التي هي أهدى السُّبل وأقومها وأصلحها، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [نصت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأُوْا إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِنُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فكتاب الله فيه الهدى والنور، وفيه العظة والذكرى، فوصيَّي نفسي وللجميع ومن يسر كلمتي أو تبلغه:

العناية بهذا الكتاب العظيم، فهو أشرف كتاب، وأعظم كتاب وهو خاتم الكتب المنزلة من السماء، ومن تدبره وتعقله بقصد طلب الهداية، ومعرفة الحق، وفقه الله وهده.

وأهم ما اشتمل عليه هذا الكتاب العظيم، بيان حق الله على عباده وبيان ضد ذلك؛ هذا أعظم موضوع اشتمل عليه القرآن، وهو بيان

سبحانه على عباده من توحيده، وإخلاص العبادة له، وإفراده بالعبادة، بيان ضد ذلك من الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يغفر، وأنواع الكفر المضلل.

ولو لم يكن في تدبر هذا الكتاب العظيم إلا العلم بهذا الواجب العظيم، وتدبر ما ذكره الله في ذلك، لكان ذلك خيرًا عظيمًا، وفضلًا كبيرًا، فكيف وفيه الدلالة على كل خير، والترهيب من كل شر، كما قدم.

ثم بعد ذلك العناية بالسنة، فإنها الأصل الثاني، والوحي الثاني، يبيها التفسير لكتاب الله والدلالة على ما قد يخفى من كلامه سبحانه، في الموضحة لكتاب الله كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ مُبَيِّنًا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]، فهو نزل لدعوة الناس إلى الخير، وتعليمهم سبل النجاة، وتحذيرهم من بل الهلاك، وأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبين للناس ما أنزل بهم، وأن يشرح لهم ما اشتبه عليهم. فلم يزل عليه الصلاة والسلام من بين بعثه الله إلى أن توفاه سبحانه يدعو الناس إلى ما دل عليه كتاب الله، بشرح لهم ما دل عليه، ويحذرهم مما نهى عنه. وكانت المدة من حين بعثه الله إلى أن توفاه ثلاثًا وعشرين سنة، كلها دعوة وبيان وترهيب مرغوب، إلى أن نقل إلى الرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام.

ومحاضرتي هذه الليلة في أعظم موضوع، وأهم موضوع، وموضوع العقيدة، موضوع التوحيد وضده.

فالتوحيد هو الأمر الذي بعث الله من أجله الرسل، وأنزل من أجل الكتب، وخلق من أجله الثقلين، وبقية الأحكام تابعة لذلك. يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. المعنى ليخصوه سبحانه بالعبادة، ويفردوه جل وعلا بها، ولم يخلقوا عبثاً وسدى، ولا لياكلوا ويشربوا، ولا ليعمروا القصور ونحوها، ولا لشن الأنهار، وغرس الأشجار، ولا لغير هذا من مهمات الدنيا، ولكنها خلقوا ليعبدوا ربهم، وليعظموه، وليتمسكوا بأوامره، ويتنبهوا لنواهيه، ويقفوا عند حدوده، وليوجهوا العباد إليه، ويرشداهم إلى حقه. وخلق لهم ما خلق من النعم ليستعينوا بها على طاعته، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال سبحانه ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [البقرة: ١٣]، والله جل وعلا أنزل الأمطار، وأجرى الأنهار، ويسر للعباد من أنواع الرزق وأنواع النعم ما يُعينهم على طاعته، وما يكون زاداً لهم إلى نهاية آجالهم، إقاماً للحجة، وقطعاً للمعذرة، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ

رَحْمَنَ إِلَهَةٍ يُعْبَدُونَ ﴿ [الزخرف: ٤٥]، وقال جل وعلا: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ
لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال سبحانه في سورة الفاتحة:
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ [الفاتحة: ٥].

إلى غير ذلك من الآيات الدالات على أنه سبحانه خلق الخلق
مبدؤه وحده، وأمرهم بذلك، وأرسل الرسل لهذا الأمر، ليدعوا إليه،
يوضحوه للناس.

فوجب على أهل العلم خلفاء الرسل أن يبينوا للناس هذا الأمر العظيم،
أن يكون أعظم المطلوب، وأن تكون العناية به أعظم عناية، لأنه متى
لم صار ما بعده تابعا له، ومتى لم يوجد التوحيد لم ينفع المكلف ما
صل من أعمال وأقوال، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَمْكُونُ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
سَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ
نَجْلِكَ لِيَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، في آيات
شيرات.

ويؤيد هذا المعنى أنه عليه الصلاة والسلام، مكث بمكة عشر
سنين، يدعو الناس إلى توحيد الله، قبل أن تفرض عليه الصلاة وغيرها،
لها دعوة إلى توحيد الله، وترك الشرك وخلع الأوثان، وبيان أن الواجب
على جميع الثقليين أن يعبدوا الله وحده، ويدعوا ما عليه آبائهم وأسلافهم
من الشرك.

ولهذا سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب في أيام الهدنة ، وك
أبو سفيان في وفد من قريش في تجارة بفلسطين ، وصادف مجيء هرقل
إلى القدس ، فقبل له عنهم ، فأمر بإحضارهم لسؤالهم عما يعلمون ع
هذا النبي الذي بلغه خبره ، وكان ذلك في وقت الهدنة ، وعلى رأسهم أ
سفيان بن حرب ، فسألهم عنه ، وعن قوله : إنه نبي ؟ !
فأمر بأبي سفيان فأجلسه أمامه ، وأجلسوا أصحابه خلفه ، وق
لترجمانه قل لهم : إني سائله فإن كذب فليكدّبوه .
فسأل عن النبي ﷺ ، وعن أشياء كثيرة معروفة في البخاري وغيره
ومما سأل عنه : أن سألهم عما يدعوهم إليه ؟
فقالوا : يدعوننا إلى أن نعبد الله وحده ، وأن نترك ما عليه آباؤنا
ويأمرنا بالصلاة والصدق والصلة والعفاف .
فقال لهم : إن كان كما قلتم ليمكن موضع قدمي هاتين ^(١) . فكا
الأمر كما قال ، فملك الله المسلمين الشام ، وأزاح عنها الروم ، ونصر
نبيه وأيد حزه .

والمقصود أن هذا الأصل هو الأمر العظيم . . ولما تساهل فيه الناس
- إلا من رحم الله - وقعوا في الشرك الأكبر ، وهم يدعون الإسلام
وينكرون على من رماهم بخلافه ، وهم على الشرك بسبب جهلهم بهذا

(١) رواه البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي ، رقم (٧) .

لأصل العظيم، فقد اتخذوا كثيرًا من الأموات آلهة من دون الله عبدونهم، ويطوفون بقبورهم، ويستغيثون بهم، ويسألونهم شفاء مرضى، وقضاء الحاجات، والنصر على الأعداء.

ويقولون: هذا ليس بشرك وإنما هو تعظيم للصالحين، وتوسل بهم إلى الله.

ويقولون أيضًا: بأن الإنسان لا يدعو الله مباشرة إنما يدعو الله بواسطة أولياء، وهم كالوزراء بالنسبة إلى الرب، كما أن الوزراء بالنسبة لملوكهم الوساطة، فشبهاوا الله بخلقه، وعبدوا خلقه من دونه؛ نسأل الله العافية.

فكل هذا من أسباب الجهل، وقلة البصيرة بهذا الأصل العظيم، عباد البدوي، وعباد الشيخ عبد القادر، وعباد الحسين، وعباد غيرهم من الناس، أصابهم البلاء من هذا السبيل، جهلوا حقيقة التوحيد، جهلوا دعوة الرسل، والتبست عليهم الأمور، فوقعوا في الشرك استحسنوه، وجعلوه دينًا وقربة، وأنكروا على من أنكر عليهم، وقل أن جد في غالب الأمصار العاثم البصير بهذا الأصل العظيم، بل تجد من أشار إليه بالأصابع، ويُقال إنه العالم، وهو مع ذلك ممن يعظم القبور، وتعظيم الذي لم يشرعه الله، ويدعو أهلها، ويستغيث بهم وينذر لهم نحو ذلك.

أما علماء الحق، علماء السنة، علماء التوحيد فهم قليل في كل مكان.

فالواجب على الطلبة في هذه الجامعة، وعلى جميع الطلاب في جميع الجامعات الإسلامية أن يعتنوا بهذا الأصل، وأن يُحْكِمُوهُ غاية الإحكام، حتى يكونوا دعاة للهدى، ومبشرين بالحق، وحتى يكونوا مبشرين للناس بحقيقة دينهم الذي بعث الله به نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وبعث به الرسل جميعًا.

وهذه الكلمة التي أقولها لكم الآن تتعلق بأنواع التوحيد وأنواع الشرك. والتوحيد مصدر وَّحَدَ يوحد توحيدًا يعني وَّحَدَ الله أي اعتقد واحدًا لا شريك له في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته وعبادته، سبحانه وتعالى؛ فهو واحدٌ جلٌّ وعلا وإن لم يوَحِّدْهُ الناس وإنما سُمِّيَ أفراد الله بالعبادة توحيدًا، لأن العبد باعتقاده ذلك قد وَّحَدَ الله عزَّ وجلَّ، واعتقده واحدًا فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه، ودعوته وحده، والإيمان بأنه مدبِّر الأمور وخالق الخلق، وأنه صاحب الأسماء الحسنى والصفات الكاملة، وأنه يستحق العبادة دور كل ما سواه.

وعند التفصيل تكون أنواع التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

[توحيد الربوبية]

فتوحيد الربوبية أقرَّ به المشركون، ولم ينكروه، لكنهم لم يدخلوا به في الإسلام لأنهم لم يخصوا الله بالعبادة، ولم يقرؤا بتوحيد الإلهية،

أقروا بأن ربهم هو الخالق الرازق، وأن الله هو ربهم، ولكنهم لم يحدوه بالعبادة، فقاتلهم النبي ﷺ حتى يخلصوا العبادة لله وحده.

فتوحيد الربوبية معناه الإقرار بأفعال الرب، وتدبيره للعالم، مصرفه فيه، هذا يُسمى توحيد الربوبية، وهو الاعتراف بأنه الخلاق رزاق مدبر الأمور ومصرفها، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّز بذلّ، ويحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

وهذا في الجملة أقرب به المشركون، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيْنَ آتَاهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ مَيِّتٍ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ﴾ [نس: ٣١].

فهم معترفون بهذه الأمور، لكنهم لم يستفيدوا من هذا الإقرار في حيد الله بالعبادة، وإخلاصها له سبحانه وتعالى، بل اتخذوا معه سائط، وزعموا أنها شفعاء وأنها تقربهم إلى الله زلفى، كما قال تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ فَعَلْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ يَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سَبِّحْنَاهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [يونس: ١٨]، فهو سبحانه لا يعلم له ريكا لا في السماء ولا في الأرض، بل هو الواحد الأحد، سبحانه

وتعالى، الفرد الصمد، المستحق للعبادة جلّ وعلا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣] ثم قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، والمعنى يقولون ما نعبدهم إلا ليقرّبوا إلى الله زلفى، يعني ما عبدناهم لأنهم يضرّون وينفعون، أو لأنهم يخلقون ويرزقون، أو لأنهم يدبرون الأمور، ولكن عبدناهم ليقرّبونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده، كما قالوا في الآية السابقة من سورة يونس ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

عُرف بهذا أنهم لم يعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر، وتحيي وتميت وترزق وتعطي وتمنع، وإنما عبدوهم ليشفعوا لهم وليقرّبوهم إلى الله زلفى، فاللات والعزى ومناة والمسيح ومريم والصالحون من العباد كل هؤلاء ما عبدهم المشركون الأولون، لأنهم ينفعون ويضرّون، ما عبدوهم لأنهم يرجون شفاعتهم، وأن يقرّبوهم إلى الله زلفى، فحكم الله عليهم بالشرك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنتِفُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال في آية الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فحكم عليهم بالكفر والكذب، حين قالوا: ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى، فبين أنهم كذّبة في زعمهم أنهم يقرّبونهم إلى الله زلفى، كفرًا بهذا العمل، وهو عبادتهم إياه

لذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ونحو ذلك .

وقد دعاهم ﷺ عشر سنين يقول لهم : «يا قوم قولوا لا إله إلا الله فلقوا» فأعرض عنه الأكثرون ، ولم يهتد إلا الأقلون ، ثم أجمع رأيهم على قتله ، فأنجاه الله من شرهم ومن كيدهم ، وهاجر إلى المدينة عليه صلاة والسلام ، فأقام بها شريعة الله ودعا فيها إلى الله ، وتقبل الدعوة لأنصار رضي الله عنهم ، وجاهدوا معه عليه الصلاة والسلام وجاهد معه مهاجرون من قريش ، ومن غيرهم حتى أظهر الله دينه ، وأعلى كلمته ، أذل الكفر وأهله .

وهذا النوع الذي أقر به المشركون هو توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله من خلق ورزق وتدبير وإحياء وإماتة وغير ذلك من أفعاله سبحانه كما سبق ، وهو حجة عليهم في إنكارهم توحيد الله بالعبادة لأنه يستلزمه ، ويدل عليه ويوجبه .

فلهذا أقام الله الحجة عليهم بهذا الإقرار فقال : ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣] ، وفي الآيات الأخرى ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٦] ، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] .

ومن تدبر هذا الأمر الذي أقروا به ، استفاد لو عقل أن هذا المتّصف بهذه الصفات هو المستحق لأن يعبد ، ما دام هو الخلاق وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت وهو المعطي وهو المانع وهو المدبر للأمر ، وهو للعالم بكل شيء والقادر على كل شيء ، فكيف تُصرف العبادة لغيره ،

بل كيف يُرجى غيره، ويُخاف غيره، لو عقل أولئك الكفار، ولكنهم لم يعقلون: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِحْزَابُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال في المنافقين: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٨] وهكذا أشباههم كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْرَافِ لِمَا هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، هؤلاء هم الغافلون حقًا وهم أشباه الأنعام، بل هم أضل منها، كما وصفهم الله بذلك في آيات بينات، وحجج نيرات، وبراهين ساطعات، ومع ذلك لم يفهموها ولم يعقلوها، واستمروا على كفرهم وضلالهم، حتى حاربوا ﷺ يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق «يوم الأحزاب»، استمروا في كفرهم وضلالهم، ولم تنفع فيهم الآيات، ولم يستفيقوا من غفلتهم وإعراضهم، والله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى والحجة الدامغة.

ثم إنه سبحانه أظهر نبيه، وأعز دينه، وقهر الأعداء، فغزاهم ﷺ يوم الفتح، ونصره الله عليهم، وفتح بلادهم، ودخلوا في دين الله أفواجًا، وعند ذلك أظهر عليه الصلاة والسلام توحيد الإلهية، وقبله الناس، ودخلوا في الحق، ثم قامت ضده هوازن، وأهل الطائف، فأظهره الله عليهم، وشتت شملهم، واستوائ عليه الصلاة والسلام على نسايتهم وذرياتهم وأموالهم، وجعل الله العاقبة والنصر لنبه ﷺ، ولعباده

مؤمنين فالحمد لله على ذلك .

[توحيد الأسماء والصفات]

والنوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وهو أيضاً من جنس توحيد الربوبية، قد أقرؤا به وعرفوه، وتوحيد الربوبية يستلزمه، لأن من كان هو الخلاق الرزاق والمالك لكل شيء، فهو المستحق لجميع لأسماء الحسنی والصفات العلا، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته أفعاله، لا شريك له، ولا شبه له، ولا تدركه الأبصار وهو السميععليم، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [شورى: ١١]، وكما قال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [لقمان: ١٣]، وقد كابر بعضهم فأنكر اسم الرحمن فأكذبهم الله بقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ أُمَمًا قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ۝﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

[توحيد الألوهية]

النوع الثالث: هو توحيد الله بالعبادة، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن مناهها لا معبود حق إلا الله، فهي تنفي العبادة بجميع أنواعها عن غير الله، وتثبتها لله وحده سبحانه وتعالى .

وهذه الكلمة هي أصل الدين وأساسه كله، وهي الكلمة التي دعا

إليها النبي ﷺ، قومه ودعا إليها عمه أبا طالب فلم يسلم ومات على دين قومه.

وقد أوضح الله معناها في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم منها قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿وَأْمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾ [البينة: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

وكلها تفسر هذه الكلمة، وتوضح أن معناها: إبطال العبادة لغير الله، وإثبات العبادة بحق لله وحده جل وعلا، كما قال سبحانه في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

فالله سبحانه وتعالى هو الحق، وله دعوة الحق، وعبادته هي الحق دون كل ما سواه سبحانه وتعالى، فلا يُستغاث إلا به، ولا يُنذر إلا له ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُطلب الشفاء إلا منه، ولا يُطاف إلا بيته العتيق إلى غير هذا من أنواع العبادة، وهو الحق ودينه الحق سبحانه وتعالى.

من أتقن هذه الأنواع الثلاثة - أعني أنواع التوحيد - وحفظها واستقام على معناها، علم أن الله هو الواحد حقًا، وأنه هو المستحق للعبادة دون جميع خلقه، ومن ضيع واحدًا منها أضاع الجميع، فهي متلازمة، إسلام إلّا بها جميعًا، ومن أنكر صفات الله وأسماءه، فلا دين له، ومن عم أن مع الله مصرّفًا للكون يدبر الأمور، فهو كافر مشرك في الربوبية جماع أهل العلم.

ومن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ولكن لم يعبد الله حده، بل عبد معه سواه من المشايخ أو الأنبياء أو الملائكة أو الجن والكواكب أو الأصنام أو غير ذلك فقد أشرك بالله وكفر به سبحانه، لا تنفعه بقية الأقسام لا توحيد الربوبية، ولا توحيد الأسماء والصفات، متى يجمع بين الثلاثة، فيقر بأن الله ربه هو الخالق الرازق المالك لجميع أمور، ويقر بما كفر به المشركون، وحتى يؤمن بأنه سبحانه له الأسماء حسنى والصفات العلى، لا شبيه له، ولا شريك له، كما قال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهذا النوع الثالث: وهو توحيد العبادة، وهو معنى لا إله إلا الله، هو أساس العظيم لدعوة الرسل لأن النوعين الآخرين لم ينكرهما

المشركون كما تقدم، وإنما أنكروا هذا النوع وهو توحيد العبادة، لم قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقالوا أيضًا: ﴿إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٢٦]، وقبلها قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٣٥] وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] فكذبهم الله بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

وهذا النوع هو توحيد العبادة، وهو الذي أنكره المشركون الأولون، وينكره المشركون اليوم، ولا يؤمنون به، بل عبدوا مع الله سواه، فعبدوا الأشجار والأحجار وعبدوا الأصنام، وعبدوا الأولياء والصالحين، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم وذبحوا لهم، إلى غير هذا مما يفعله عباد القبور وعباد الأصنام والأحجار وأشباههم، وهم بذلك مشركون كفار، إذا ماتوا على ذلك، لم يغفر لهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَ لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فلا بد من تحقيق هذا النوع، وإفراد الله بالعبادة ونفي الإشراك به سبحانه وتعالى، والاستقامة على ذلك، والدعوة إليه، والموالاتة فيه والمعاداة عليه، وبسبب الجهل بهذا النوع، وعدم البصيرة فيه يقع الناس

الشرك، ويحسبون أنهم مهتدون، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا لِشَيْطَانٍ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، فقال في حق النصارى وأمثالهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا] [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، فالكافر جهله وانتكاس قلبه، يحسب أنه محسن، وهو يعبد غير الله، ويدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، ويتقرب بالذبائح والندور لغيره عز وجل، وما لك إلا لجهله وقلة بصيرته، وقد أنزل الله فيهم عز وجل قوله سبحانه: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان: ٤٤]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية، فالواجب على مل العلم، وعلى طلاب العلم أن يعنوا بهذا النوع أعظم عناية، لكثرة جهل به، ووقوع أكثر الخلق في ضده.

أما النوعان الأخيران: فهما بحمد الله من أوضح الأشياء وأبينها، لكن هذا النوع أعني توحيد العبادة يشبهه على أكثر الناس بسبب الشبهة الكثيرة في يروجها أعداء الله، ويلبسون بها على كثير من الناس، والأمر فيها بحمد الله واضح لمن نور الله بصيرته وهي شبه باطلة، لا وجه لها.

فالحق واضح أبلي، وهو وجوب إخلاص العبادة لله وحده، دون كل ما سواه، كما قال عز وجل: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ

أَحَدًا ﴿الجن: ١٨﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّهُ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٦]، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، في آيات كثيرات كل دالة على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن صرف العبادة لغير الله شرك وكفر، وهكذا لو اعتقد أن شخصاً أو جماداً يصلح أن يعبد كفر ولم يعبد، فلو اعتقد أن هذا الصنم، أو هذا الشخص كجبرائيل أو النبي محمد ﷺ، أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو البدوي أو الحسين، أو علي بن أبي طالب، لو اعتقد أن واحداً منهم أو غيرهم يصلح للعبادة وأنه لا بأس أن يدعى من دون الله، ولا بأس أن يُستغاث به صار كافراً وإن لم يفعل شيئاً.

وهكذا لو اعتقد أنهم يعلمون الغيب، أو يتصرفون في الكون كالكافراً بهذا الاعتقاد، عند جميع أهل العلم، فكيف إذا دعاهم من دون الله، أو استغاث بهم أو نذر لهم فإنه يكون بذلك مشركاً شركاً أكبر. وهكذا إذا سجد لهم أو صلى لهم أو صام لهم، صار بذلك مشركاً شركاً أكبر، نسأل الله السلامة من ذلك.

الشرك وأنواعه^(١)

و ضد التوحيد الشرك، وهو أنواع ثلاثة، والحقيقة أنه نوعان: شرك كبير، وشرك أصغر.

فالشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها، أو ضمن جحد شيء مما أوجب الله من الأمور المعلوم من الدين بالضرورة كالصلاة، وصوم رمضان، أو يتضمن جحد شيء مما حرم الله، مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر ونحوها، أو ضمن طاعة المخلوق في معصية الخالق على وجه الاستحلال لذلك، أنه يجوز أن يطاع فلان أو فلانة، فيما يخالف دين الله عز وجل، من ليس أو وزير أو عالم أو غيرهم فكل ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله كدعاء الأولياء، والاستغاثة بهم والنذر لهم، أو يتضمن استحلال ما حرم الله، أو إسقاط ما أوجب الله، كاعتقاد أن الصلاة لا يجب أو الصوم لا يجب أو الحج مع الاستطاعة لا يجب، أو الزكاة لا يجب، أو اعتقد أن مثل هذا غير مشروع مطلقاً، كان هذا كفراً أكبر، شركاً أكبر، لأنه يتضمن تكذيب الله ورسوله.

وهكذا لو اعتقد حل ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، استحلال الزنا والخمر، وعقوق الوالدين، أو استحلال قطع الطريق أو

اللواط أو أكل الربا، وما أشبه ذلك من الأمور المعروفة بتحريمها بالنص والإجماع، إذ اعتقد حلّها كفر إجماعاً - نسأل الله العافية - وصار حكمه حكم المشركين شركاً أكبر.

وهكذا من استهزأ بالدين، وسخر به حكمه حكمهم، وكفره كفر أكبر، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦]، وهكذا لو استهان بشيء مما عظمه الله احتقاراً له، وازدراء له، كأن يستهين بالمصحف، أو يبول عليه، أو يطأ عليه، أو يقعد عليه، أو ما أشبه ذلك استهانة به، كفر إجماعاً، لأنه بذلك يكون منتقصاً لله، محتقراً له، لأن القرآن كلامه سبحانه وتعالى، فمن استهان به فقد استهان بالله عز وجل. وهذه الأمور قد أوضحها العلماء في باب حكم المرتد، ففي كل مذهب من المذاهب الأربعة ذكروا باباً سمّوه: «باب حكم المرتد»، أوضحوا فيه جميع أنواع الكفر، والضلال وهو باب جدير بالعناية، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع الردة، والتبس الأمر في ذلك على كثير من الناس، فمن غني به حق العناية عرف نواقض الإسلام، وأسباب الردة، وأنواع الكفر والضلال.

والنوع الثاني: الشرك الأصغر وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركاً، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، فهذا يُسمّى شركاً أصغر مثل: الرياء والسمعة كمن يقرأ يُرائي، أو يُصلي يُرائي، أو يدعو إلى الله يُرائي.

محو ذلك .

فقد ثبت في الحديث أنه ﷺ قال : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال : «الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة مرأتين: اذهبا إلي من كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون ندهم من جزاء»^(١) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن محمود بن لبيد شلهي الأنصاري رضي الله عنه، ورواه الطبراني أيضاً والبيهقي جماعة مرسلأ عن محمود المذكور، وهو صحابي صغير لم يسمع من النبي ﷺ، ولكن مراسلات الصحابة صحيحة وحجة عند أهل العلم، بعضهم حكاه إجماعاً.

ومن ذلك قول العبد: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وفلان، أو ذا من الله ومن فلان.

هذا كله من الشرك الأصغر كما في الحديث الذي رواه أبو داود سناد صحيح عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال : «لا ولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»^(٢).

ومن هذا ما رواه البخاري عن قتيلة أن اليهود قالوا لأصحاب النبي ﷺ : «إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشاء محمد، وتقولون والكعبة

(١) رواه أحمد برقم (٢٧٧٤٢).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٢٧٥٤)، وأبوداود: كتاب الأدب، باب لا يقال خبث نفسي، رقم (٤٩٨٠).

فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة» وأقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد^(١) - وفي رواية للنسائي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت فقال: «أجعلتني لله نداً ما شاء الله وحده».

ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: هو الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلم الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول لولا كلي هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن.

فهذا وأشباهه من جنس الشرك الأصغر، وهكذا الحلف بغير الله كالحلف بالكعبة، والأنبياء والأمانة وحياة فلان، وبشرف فلان ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأصغر لما ثبت في المسند بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف بشي دون الله فقد أشرك»^(٢) وروى الإمام أحمد وأبوداود والترمذي رحمهم الله

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، رقم (٣٧٧٣).

(٢) رواه أحمد برقم (٣٣١).

سناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من حلف برب الله فقد كفر أو أشرك»^(١).

وهذا يحتمل أن يكون شكًا من الراوي، ويحتمل أن أو بمعنى أو، والمعنى فقد كفر وأشرك.

ومن هذا ما رواه الشيخان عن عمر رضي الله تعالى عنه، عن النبي أنه قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»^(٢). والأحاديث في المعنى كثيرة.

وهذه أنواع من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر على حسب ما يكون قلب صاحبه، فإذا كان في قلب الحالف بالنبي أو البدوي أو الشيخ، أنه مثل الله، أو أنه يدعى مع الله، أو أنه يتصرف في الكون مع الله نحو ذلك، صار شركًا أكبر بهذه العقيدة، أما إذا كان الحالف بغير الله يقصد هذا القصد، وإنما جرى على لسانه من غير هذا القصد لكونه كذلك، كان ذلك شركًا أصغر.

وهناك شرك يُقال له: الشرك الخفي ذكر بعض أهل العلم أنه قسم

رواه أحمد برقم (٦٠٣٦)، وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم (٣٢٥١)، والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم (١٥٣٥).

رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، رقم (٢٦٧٩)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٦٤٦).

ثالث، واحتج عليه بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي قال: «ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فينصلي صلاته لما يرى من نظر رجل إليه^(١)» خرّجه الإمام أحمد.

والصواب: أن هذا ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأصغر، وقد يكون خفيًا لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يرئائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرئائي، أو يجاهد يرئائي، نحو ذلك.

وقد يكون خفيًا من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس كالأنواع التي في حديث ابن عباس السابق.

وقد يكون خفيًا وهو من الشرك الأكبر كاعتقاد المنافقين، فإن يرءون بأعمالهم الظاهرة وكفرهم خفيًا، لم يظهروه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ مَذْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا يُرَاءُونَ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴿[النساء: ١٤٢ - ١٤٣]، والآيات في كفرهم ورياء كثيرة، نسأل الله العافية.

(١) رواه أحمد برقم (١٠٨٥٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة برقم (٤٢٠٤).

وبما ذكرنا يُعلم أن الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سُمي خفياً: فالشرك يكون خفياً ويكون علانياً.

فالجلي: دعاء الأموات، والاستغاثة بالأموات، والنذر لهم، ونحو ذلك.

والخفي: ما يكون في قلوب المنافقين يُصلُّون مع الناس، ويصومون مع الناس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، نعم على دين المشركين؛ فهذا هو الشرك الخفي الأكبر، لأنه في قلوب.

وهكذا الشرك الخفي الأصغر، كالذي يقصد بقراءته ثناء الناس، أو صلاته أو بصدقته أو ما أشبه ذلك، فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر. **فاتضح بهذا أن الشرك شركان: أكبر وأصغر، وكل منهما يكون خفياً:** كشرك المنافقين، وهو أكبر، ويكون خفياً أصغر كالذي يقوم إثم في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله أو أمره لمعروف أو نهيه عن المنكر، أو نحو ذلك.

فالواجب على كل مؤمن أن يحذر ذلك، وأن يتعد عن هذه أنواع، ولا سيما الشرك الأكبر، فإنه أعظم ذنب عُصِي الله به، وأعظم ريمة وقع فيها الخلق، وهو الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَلَوْ رَكَوْا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْلَكُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال فيه سبحانه

وبحمده: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال فيه سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فمن مات عليه فهو من أهل النار جزماً، والجنة عليه حرام، وهو مغلّد في النار أبداً الأباد نعوذ بالله من ذلك.

أما الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وصاحبه على خطر عظيم لكن قد يُمحا عن صاحبه برجحان الحسنات، وقد يعاقب عليه ببعض العقوبات، لكن لا يغلّد في النار خلود الكفار، فليس هو مما يوجد الخلود في النار، وليس مما يحبط الأعمال، ولكن يحبط العمل الذي قارنه.

فالشرك الأصغر يحبط العمل المقارن له، كمن يصلي يرائي فلا أجراً له، بل عليه إثم.

وهكذا من قرأ يرائي فلا أجراً له، بل عليه إثم، بخلاف الشرك الأكبر والكفر الأكبر، فإنهما يحبطان جميع الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكُوا الْحَيْطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فالواجب على الرجال والنساء، وعلى العالم والمتعلم، وعلى كل مسلم، أن يُعنى بهذا الأمر ويتبصر فيه، حتى يعلم حقيقة التوحيد بأنواعه، وحتى يعلم حقيقة الشرك بنوعيه: الأكبر والأصغر، وحتى يبادر بالتوبة الصادقة مما قد يقع من الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر.

ي يلزم التوحيد، ويستقيم عليه، وحتى يستمر في طاعة الله، وأداء
، فإن التوحيد له حقوق، وهي أداء الفرائض، وترك المناهي، فلا
مع التوحيد من أداء الفرائض، وترك المناهي، ولا بد أيضاً من ترك
راك كله: صغيره وكبيره.

فالشرك الأكبر ينافي التوحيد، وينافي الإسلام كلياً. والشرك
مغر ينافي كماله الواجب، فلا بد من ترك هذا وهذا.

فعلينا جميعاً أن نُعنى بهذا الأمر، ونتفقه فيه، ونبلغه للناس بكل
وبكل إيضاح حتى يكون المسلم على بينة من هذه الأمور العظيمة.

والله المسؤول عز وجل أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل
الحق، وأن يمنحنا والمسلمين جميعاً الفقه في دينه والثبات عليه، وأن
دينه ويُعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وصلى
سلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم

* * *

ارتكاب الكبائر يؤثر في التوحيد^(١)

س: ما حكم ارتكاب بعض المعاصي لا سيما الكبائر وهل يؤثر ذلك في
ك العبد بالإسلام؟

ج: نعم يؤثر ذلك فإن ارتكاب الكبائر كالزنا وشرب الخمر و
 النفس بغير حق وأكل الربا والغيبة والنميمة وغير ذلك من المعاصي
 في توحيد الله والإيمان به ويضعفه، ولكن لا يكفر المسلم بشيء من ذلك
 لم يستحله خلافاً للخوارج، فإنهم يكفرون المسلم بفعل المعصية كـ
 السرقة وعقوق الوالدين وغير ذلك من كبائر الذنوب ولو لم يستحله
 وهذا غلط عظيم من الخوارج، فأهل السنة والجماعة لا يكفرونه بذلك
 ولا يخلدونه في النار، ولكنهم يقولون هو ناقص الإيمان والتوحيد
 لا يكفر كفراً أكبر بل يكون في إيمانه نقص وضعف. ولهذا شرع الله في
 الزاني الحد بالجلد، إذا كان بكراً يُجلد مائة جلدة ويغرب عاماً؛ وهـ
 شارب السكر يُجلد ولا يقتل؛ وهكذا السارق تقطع يده ولا يقتل؛ فلو
 الزنا وشرب السكر والسرقة توجب الكفر الأكبر لقتلوا لقول النبي ﷺ
 «من بدل دينه فاقتلوه»^(١) رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه.
 فدل ذلك على أن هذه المعاصي ليست ردة، ولكنها تضعف الإيمـ
 وتنقصه، فلهذا شرع الله تأديبهم بهذه الحدود ليتوبوا ويرجعوا إلى ربه
 ويرتدعوا عما حرم عليهم ربهم سبحانه؛ وقالت المعتزلة أن العاصي
 منزلة بين منزلتين ولكنه يخلد في النار إذا مات عليها، فخالفوا أهل السنة
 ووافقوا الخوارج في ذلك، وكلتا الطائفتين قد ضلت عن السبيل
 والصواب هو القول الأول، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو أنه يكـ

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يُعذب بعذاب الله، رقم (١٧).

يَا ضَعِيفَ الْإِيمَانِ وَعَلَى خُطَرٍ عَظِيمٍ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِكَ الْكَفَرُ الْأَكْبَرُ الَّذِي هُوَ الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ أَيْضًا ذَلِكَ الْكَفَرُ إِذَا مَاتَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، بَلْ يَكُونُ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُ إِنْ شَاءَ عَذِبَهُ عَلَى قَدَرِ الْمَعَاصِي الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا ثُمَّ يُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ لِيَخْلُدَ فِيهَا أَبَدَ الْأَبَادِ إِلَّا الْكَفَرُ ، ثُمَّ بَعْدَ مُضِيِّ مَا حَكَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ يَخْرُجُهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْحَقِّ وَهَذَا هُوَ الَّذِي بَيَّنَّ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، خَلَاقًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَاللَّهَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] .

فَعَلَقَ سَبْحَانَهُ مَا دُونَ الشِّرْكِ عَلَى مَشِيئَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ .
أَمَّا مَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ فَإِنَّهُ يَخْلُدُ فِي النَّارِ وَالْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَرَامٌ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ : ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، وَقَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَرْوُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [التوبة: ١٧] ، وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ .

أَمَّا الْعَاصِي إِذَا دَخَلَ النَّارَ فَيَبْقَى فِيهَا إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ وَلَا يَخْلُدُ خُلُودًا عَامًّا ، وَلَكِنْ قَدْ تَطَوَّلَ مَدَّتُهُ وَيَكُونُ هَذَا خُلُودًا خَاصًّا مُؤَقَّتًا لَيْسَ مِثْلَ خُلُودِ الْمُشْرِكِ ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْفِرْقَانِ لَمَّا ذَكَرَ الْمُشْرِكَ وَالْقَاتِلَ وَالزَّانِيَ وَالْمُنَافِقَ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [١٨] يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِمَدَّتِهِ فِيهِ مُهَكَّنًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩] ، فَهُوَ خُلُودٌ مُؤَقَّتٌ لَهُ نَهَايَةٌ .

أَمَّا الْمُشْرِكُ فَخُلُودُهُ دَائِمٌ أَبَدَ الْأَبَادِ ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ

المشركين في سورة البقرة: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ هُمْ يَخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، قال سبحانه في سورة المائدة في الكفرة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧].



شروط لا إله إلا الله وخطورة الجهل بها^(١)

س: يُلاحظ جهل كثير من المحسوبين على الأمة الإسلامية بما لا إله إلا الله، وقد ترتب على ذلك الوقوع فيما يُنافيها ويُضادها، أو ينقذ من الأقوال والأعمال، فما معنى لا إله إلا الله؟ وما مقتضاها؟ وما شروطها؟ ج: لا شك أن هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله هي أساس الدين، والركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أن محمداً رسول الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»^(٢). متفقٌ على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما ي

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٢٩-٢٣٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: كتاب الإيمان، باب بُني الإسلام على خمس، رقم ١٦٦ مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائه العظام، رقم (١٦٦).

ذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،
عَمَهُمْ إِلَيَّ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ
فَمَهُمْ أَنْ اللَّهُ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ أَطَاعُوكَ
فَاعْلَمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً؛ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فِتْرَةً فِي
أَنْفُسِهِمْ»^(١) الحديث متفق عليه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهي تنفي الإلهية
عن غير الله سبحانه، وتثبتها بالحق لله وحده، كما قال الله عز وجل في
سورة الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا كَدُّتَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
طَلُّ﴾ [الحج: ٦٢]. وقال سبحانه في سورة المؤمنين: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
هَاءَ آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾
[مؤمن: ١١٧]، وقال عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَاللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقال في سورة البقرة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
بِدُءِ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البقرة: ١٧٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها،
تُخرجه من دائرة الشرك، إلا إذا عرف معناها وعمل به وصدق به.
وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم
ؤمنوا بها ولم يعملوا بها.

رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم:
كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

وهكذا اليهود تقولها - وهم من أكفر الناس - لعدم إيمانهم بها .
وهكذا عبَاد القبور والأولياء من كفَّار هذه الأمة ؛ يقولونها
يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم ، فلا تنفعهم ولا يكونون بقوم
مسلمين ، لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم .
وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية ، جمعها في بيتين فقال
علم يقيـن وإخلاص وصدق مع

محبة وانقياد والقبول له
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإله من الأشياء قد أله

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها :

* **الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل**، وتقدّم أن معناها لا معبود حق إلا الله
فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله سبحانه كلها باطلة .
* **الثاني: اليقين المنافي للشك**، فلا بد في حق قائلها أن يكون على يقين
الله سبحانه هو المعبود بالحق .

* **الثالث: الإخلاص** وذلك بأن يخلص العبد لربه سبحانه - وهو الله عزّ وجلّ -
جميع العبادات فإذا صرف منها شيئاً لغير الله من نبيّ ، أو وليّ ، أو ملك
أو صنم ، أو جنّي أو غيرها فقد أشرك بالله ، ونقض هذا الشرط ، و
شرط الإخلاص .

* **الرابع: الصدق**، ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك ، يطابق قلبه لسانه
ولسانه قلبه ، فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فإنها لا تنفع

يكون بذلك كافراً كسائر المنافقين .

خامس: المحبة، ومعناها أن يحب الله عز وجل فإن قالها وهو لا يحب الله
ما كافرًا لم يدخل في الإسلام كالمنافقين .

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَأَنْ يَؤْتِكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَوَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُحِبُّونَ اللَّهَ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٦٥] . والآيات
 لهذا المعنى كثيرة .

سادس: الانقياد لما دلت عليه من المعنى، ومعناها أن يعبد الله وحده وينقاد
لشريعته، ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق، فإن قالها ولم يعبد الله وحده،
فإنه لا يكون مسلمًا كإبليس .

سابع: القبول لما دلت عليه، ومعناه أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص
عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به .

ثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله، ومعناه أن يتبرأ من عبادة غير الله ويعتقد
بها باطلة، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد
دون الله، حرَّم ماله ودمه وحسابه على الله» . وفي رواية عنه ﷺ أنه
ل: «من وحَّد الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرَّم ماله

ودمه»^(١). أخرجه مسلم في صحيحه .

فالأوجب على جميع المسلمين أن يحققوا هذه الكلمة بمراعاة الشروط ، ومتى وجد من المسلم معناها والاستقامة عليه ، فهو مسلم - الدم والمال ؛ وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط ؛ لأن المقصود هو بالحق والعمل به وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة .

والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله ، كما قال الله عز وجل : ﴿ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَا وَلِلَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ، ومن كان لا يرضى بذلك من المعبود من دون الله كالأنبياء والصالحين والملائكة ، فإنهم ليسوا بطواغي وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم وزينها للناس ، نسأل لنا وللمسلمين العافية من كل سوء .

وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة - وهي لا إله إلا الله - و تنافي كمالها الواجب ، فهو : أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادها ؛ كدعاء الأموات ، والملائكة والأصنام ، والأشجار ، والأحجار ، والنجوم ونحو ذلك ، والذبح لها

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله رقم (٢٣) .

لنذر والسجود لهم وغير ذلك .

فهذا كله ينافي التوحيد بالكلية ، ويضاد هذه الكلمة ويُبطلها ، وهي إله إلا الله ، ومن ذلك استحلال ما حرّم الله من المحرّمات المعلومة من دين بالضرورة والإجماع ؛ كالزنا ، وشرب المسكر ، وعقوق الوالدين ، الربا ونحو ذلك . ومن ذلك أيضاً جحداً أوجب الله من الأقوال والأعمال معلومة من الدين بالضرورة والإجماع ؛ كوجوب الصلوات الخمس ، الزكاة ، وصوم رمضان ، وبرّ الوالدين ، والنطق بالشهادتين ونحو ذلك .

أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان ، وتنافي كمالها الواجب فهي كثيرة ، ومنها الشرك الأصغر ؛ كالرياء ، والحلف بغير الله ، وقول ما شاء الله وشاء فلان ، أو هذا من الله ومن فلان ونحو ذلك ، وهكذا جميع المعاصي كلها تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كمالهما الواجب ، فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابهما .

والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والأدلة على ذلك كثيرة ؛ أوضحها أهل العلم في كتب العقيدة ، وكتب التفسير والحديث ، فمن أرادها وجدها والحمد لله .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [النوبة : ١٢١] . وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] . وقوله سبحانه : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَاهْتَدُوا هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦] .

معنى قول المصطفى: «من قال إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»^(١)

س: هل يكفي تحقيق التوحيد عن العمل؟ وما معنى قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»^(٢) جزاكم الله خيراً.

ج: بسم الله والحمد لله . . نعم حقيقة التوحيد تكون بالإخلاص واتباع شريعته، «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة» إذا أدى حقها. فلا يكون مخلصاً إلا إذا أدى حقها، وإذا لم يؤد حقها لا يكون مخلصاً، يكون كلامه ناقصاً.

فإذا قال لا إله إلا الله وهو مصر على الزنى أو على الربا يكون توحيد ناقصاً، وهكذا إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله . . إلخ، ولكنه مصر على شرب الخمر يكون توحيد ناقصاً فلا بد من أدائها حقها.

ولهذا قال في الحديث الآخر: «إلا بحقها»؛ إلا بحق الإسلام، فلا بد من حقها وهو ترك ما حرم الله وأداء ما أوجب الله، قال عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوه عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم إلى الله»^(٣)، فالصلاة من

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، رقم (٣٩٣).

حقها، والزكاة من حقها، وصوم رمضان من حقها.

وهكذا قول رسول الله ﷺ في حديث ابن عمر في الصحيحين: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن ينموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم بأحق الإسلام»^(١).

* * *

نواقص الإسلام^(٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه من اهتدى بهداه، أما بعد:

فاعلم أيها المسلم أن الله سبحانه، أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام، والتمسك به والحذر مما يخالفه، وبعث نبيه محمداً ﷺ للدعوة إلى ذلك، وأخبر عز وجل أن من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل، وحذر في آيات كثيرات من أسباب الردة، وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، رقم (٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم (٢٢).

(٢) فتاوى وتنبيهات ونصائح ص (١٠٢ - ١٠٥)، وقد نشر في مجلة البحوث الإسلامية عدد رجب وشعبان ورمضان عام ١٤٠٣ هـ.

عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض ، التي تحل دمه وماله ويكون بها خا-
من الإسلام ، ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض ذكرها الشيخ
الإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعاً
ونذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز لتحذرها وتُحذّر منها غيرك
رجاء السلامة والعافية منها ، مع توضيحات قليلة نذكرها بعدها .

* **الأول: من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله** قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعَذِّبُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦] .
وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَ
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .
* **الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل**
عليهم فقد كفر إجماعاً .

* **الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .**
* **الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن**
من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .
* **الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ولو عمل به فقد كفر لقول**
تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩] .

* **السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل**
قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لا
تَعَذِّرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل
قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾
 [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى:
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].
التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد فهو كافر
لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى:
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره،
كلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن
حذرهما، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم
نابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم. انتهى
لامه رحمه الله.

ويدخل في القسم الرابع، من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها
ناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها أو أنه يجوز التحاكم
بها، ولو اعتقد أن الحكم بالشرائع البشرية أفضل أو أن نظام الإسلام لا
يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين أو

أنه يحصر في علاقة المرء بربه ، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى
 ويدخل في الرابع أيضًا من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق ،
 رجم الزاني المحصن ، لا يناسب العصر الحاضر .
 ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله
 المعاملات أو الحدود أو غيرهما ، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم
 الشريعة ، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعًا ، وكل من استتب
 ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كالزنا والخمر والربا
 والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين .
 ونسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يرضيه وأن يهدينا وجميع المسلمين
 صراطه المستقيم إنه سميع قريب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله
 وصحبه .

* * *

توضيح معنى الشرك بالله^(١)

س: ما هو الشرك؟ وما تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]؟
 ج: الشرك على اسمه ؛ هو تشريك غير الله مع الله في العبادة كأن يدعى
 الأصنام أو غيرها ، أو يستغيث بها أو ينذر لها أو يصلي لها أو يصوم لها
 يذبح لها ، ومثل أن يذبح للبدوي أو للعبدروس ، أو يصلي لفلان ، أو يطل

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/٧٠٣-٧٠٥) .

مدد من الرسول ﷺ، أو من عبد القادر، أو من العيدروس في اليمن،
غيرهم من الأموات والغائبين، فهذا كله يسمّى شركاً.

وهكذا إذا دعا الكواكب أو الجن أو استغاث بهم أو طلبهم المدد أو ما
به ذلك، فإذا فعل شيئاً من هذه العبادات مع الجمادات أو مع الأموات
الغائبين صار هذا شركاً بالله عزّ وجلّ، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا
قَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
لِيَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[مر: ٦٥].

ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادةً كاملة، فإنه يسمّى شركاً ويسمّى
مرّاً، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار
الأحجار أو الأصنام أو الجن أو بعض الأموات من الذين يسمونهم
أولياء يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم، وينسى الله بالكلية فهذا أعظم
مرّاً وأشدّ شركاً، نسأل الله العافية.

وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول ليس هناك إله والحياة مادة
لشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله؛ هؤلاء أكفر الناس وأضلهم
عظمهم شركاً وضلالاً - نسأل الله العافية - والمقصود أن هذه الاعتقادات
شبهاتها كلها تسمّى شركاً وتسمّى كُفراً بالله عزّ وجلّ.

وقد يغلط بعض الناس لجهله فيسمّي دعوة الأموات والاستغاثة بهم
سيلة، ويظنها جائزة وهذا غلط عظيم، لأن هذا العمل من أعظم الشرك
ن، وإن سماه بعض الجهلة أو المشركين وسيلة، وهو دين المشركين

الذين ذمهم الله عليه وعابهم به ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لأنكم والتحذير منه .

وأما الوسيلة المذكورة في قول الله عز وجل : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] ، فالمراد بها التقرب إلى سبحانه بطاعته ، وهذا هو معناها عند أهل العلم جميعاً ، فالصلاة قربة إلى فهي وسيلة ، والذبح لله وسيلة كالأضاحي والهدي ، والصوم وسيلة والصدقات وسيلة ، وذكر الله وقراءة القرآن وسيلة ، وهذا هو معنى قوله وعلا : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] . يعني ابتعوا القربة إليه بطاعته ، هكذا قال ابن كثير وابن جرير والبلغو وغيرهم من أئمة التفسير ، والمعنى التمسوا القربة إليه بطاعته واطلبوها أي كنتم مما شرع الله لكم ، من صلاة وصوم وصدقات وغير ذلك .

وهكذا قوله في الآية الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ رَبَّهُمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] . هكذا الرسل وأتباعهم يتقربون إلى الله بالوسائل التي شرعها ؛ من جه وصوم وصلاة وذكر وقراءة قرآن إلى غير ذلك من وجوه الوسيلة ، أما بعض الناس أن الوسيلة هي التعلق بالأموال والاستغاثة بالأولياء فهذا باطل ، وهذا اعتقاد المشركين الذين قال الله فيهم : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار^(١)

س: يقول السائل: هل الشرك الأصغر - وهو الرياء - يخلد صاحبه في النار أم لا؟

ج: الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار، مثل الكبائر لا يخلد صاحبها في النار، وذلك مثل قول: لولا الله وأنت؛ ما شاء الله وشئت، وكذلك الرياء، والحلف بغير الله. فكل هذا يعد من الشرك الأصغر، ولا يوجب الخلود في النار، ولا يبطل الأعمال، ولكنه محرم، مثل كبائر الذنوب بل أشد من كبائر الذنوب، ولكنه لا يوجب الخلود في النار.

وهذا بالنسبة للرياء في العبادات، والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، فهذا كله يعد من الشرك الأصغر والواجب الحذر منه والبدار بالتوبة منه.

* * *

حول الولاء والبراء^(٢)

س: الرجاء من فضيلتكم توضيح الولاء والبراء: لمن يكون؟ وهل يجوز موالاته الكفار؟

ج: الولاء والبراء معناه محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين

(١) فتاوى نور الدرب (١/٢٥١).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٣/١٠٢١، ١٠٢٢).

ومعاداتهم والبراءة منهم ومن دينهم ، هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] . وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين ، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديتهم بقلبك ولا يكونوا أصحاباً لك ، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم فإذا سلموا ترد عليهم السلام وتنصحهم وتوجههم إلى الخير كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْأَكْتَبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهكذا غيرهم من الكفار الذين لهم أمان أو عهد أو ذمة لكن من ظلم منهم يجازى على ظلمه ، وإلا فالمشروع للمؤمن الجدال بالتي هي أحسن مع المسلمين والكفار مع بغضهم في الله ، للآية الكريمة السابقة ولقوله سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . فلا يتعدى عليهم ولا يظلمهم مع بغضهم ومعاداتهم في الله ، ويشرع له أن يدعوهم إلى الله ويعلمهم ويرشدهم إلى الحق لعل الله يهديهم بأسبابه إلى طريق الصواب ، ولا مانع من الصدقة عليهم والإحسان إليهم لقول الله عز وجل : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] . ولما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه أمر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن

صِل أمها وهي كافرة في حال الهدنة التي وقعت بين النبي ﷺ وبين أهل مكة عام الحديبية^(١).

* * *

حكم سب الله ورسوله ﷺ^(٢)

س: ما حكم من سبَّ الله أو سبَّ رسوله أو انتقصهما؟ وما حكم من جحد شيئاً مما أوجب الله أو استحل شيئاً مما حرَّم الله؟ ابسطوا لنا الجواب في ذلك لكثرة وقوع هذه الشرور من كثير من الناس؟

ج: كل من سبَّ الله - سبحانه - بأي نوع من أنواع السبِّ أو سبَّ الرسول محمداً ﷺ، أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السبِّ، أو سبَّ الإسلام أو تنقَّص أو استهزأ بالله أو برسوله ﷺ؛ فهو كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدَّعي الإسلام بإجماع المسلمين لقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ قُلْ أَيَاللَّهِ وَعَآيِنُهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ١٥ لَا تَعْزِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ [التوبة: ٦٦-٦٧].

وقد بسط العلامة الإمام أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - الأدلة في هذه المسألة في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» فمن أراد

(١) رواه البخاري: كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين، رقم (٢٦٢٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج، رقم (١٠٠٣).

(٢) تحفة الإخوان ص (٤٧).

الوقوف على الكثير من الأدلة في ذلك فليراجع هذا الكتاب لعظم فائدته، ولجلالة مؤلفه واتساع علمه بالأدلة الشرعية - رحمه الله - .

وهكذا الحكم في حق من جحد شيئاً ممّا أوجبه الله أو استحل شيئاً ممّا حرّمه الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كمن جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة، أو وجوب صوم رمضان، أو وجوب الحج في حق من استطاع السبيل إليه، أو جحد وجوب برّ الوالدين أو نحو ذلك، ومثل ذلك من استحلّ شرب الخمر أو عقوق الوالدين، أو استحلّ أموال الناس ودماءهم بغير حق، أو استحلّ الرّبا أو نحو ذلك من المحرّمات المعلومة من الدين بالضرورة وبإجماع سلف الأمة، فإنه كافر مرتدّ عن الإسلام إن كان يدّعي الإسلام بإجماع أهل الأمة، فإنه كافر مرتدّ عن الإسلام إن كان يدّعي الإسلام بإجماع أهل العلم. وقد بسط العلماء - رحمهم الله - في هذه المسائل وغيرها من نواقض الإسلام في باب حكم المرتد ووضحوا أدلّتها، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع هذا الباب في كتب أهل العلم من الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية وغيرهم، ليجد ما يشفيه ويكفيه إن شاء الله، ولا يجوز أن يُعذر أحد بدعوى الجهل في ذلك؛ لأن هذه الأمور من المسائل المعلومة بين المسلمين، وحكمها ظاهر في كتاب الله - عزّ وجلّ - وسنة رسوله، ﷺ، والله ولي التوفيق.

سب الدين في حال الغضب ومراتب الغضب (١)

س: يقول سائل: إذا غضب شخص واشتد به الغضب، وحصل منه سبّ للدين. فما حكمه؟ وإن كان متزوجاً فما حكم زوجته منه إذا كان بهذا قد خرج عن الإسلام؟

ج: هذه مسألة عظيمة ولها شأن خطير، فسبّ الدين من أعظم الكبائر والنواقض للإسلام، فإن سبّ الدين ردة عند جميع أهل العلم، وهو شر من الاستهزاء، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦].

وكانت جارية في عهد النبي ﷺ تسبّ النبي ﷺ، فقتلها سيدها لما لم تنب، فقال النبي ﷺ: «ألا تشهدوا إن دمها هدر» (٢).

فسبّ الدين يوجب الردة عن الإسلام، وسبّ الرسول ﷺ كذلك يوجب الردة عن الإسلام، ويكون صاحبه مُهْدَر الدَم، وماله لبيت المال، لكونه مرتدّاً أتى بنواقض من نواقض الإسلام، لكن إذا كان عن شدة غضب واختلاف عقل فله حكم آخر.

والغضب عند أهل العلم له ثلاث مراتب:

* **المرتبة الأولى:** أن يشتد غضبه حتى يفقد عقله، وحتى لا يبقى معه تمييز

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/١٢٣).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، رقم (٤٣٦١)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، رقم (٤٠٧٠).

من شدة الغضب، فهذا حكمه حكم المجانين والمعاتيه؛ لا يترتب على كلامه حكم؛ لا طلاقه، ولا سبه، ولا غير ذلك، ويكون كالمجنون لا يترتب عليه حكم.

* **المرتبة الثانية:** دون ذلك، أن يشتد معه الغضب ويغلب عليه الغضب جدًا حتى يغير فكره، وحتى لا يضبط نفسه ويستولي عليه استيلاء كاملاً، حتى يصير كالمكره والمدفوع الذي لا يستطيع التخلص مما في نفسه، لكنه دون الأول، فلم يزل شعوره بالكلية، ولم يفقد عقله بالكلية، لكن معه شدة غضب بأسباب المسابة والمخاصمة والنزاع بينه وبين بعض الناس كأهله أو زوجته أو ابنه أو أميره أو غير ذلك. فهذا يختلف فيه العلماء:

فمنهم من قال: حكمه حكم الصاحي وحكم العاقل؛ فتنفذ فيه الأحكام، فيقع طلاقه، ويرتد بسبه الدين، ويحكم بقتله وردته، ويفرق بينه وبين زوجته.

* ومنهم من قال: يلحق بالأول الذي فقد عقله؛ لأنه أقرب إليه، ولأن مثله مدفوع مكره إلى النطق، لا يستطيع التخلص من ذلك لشدة الغضب؛ وهذا قول أظهر وأقرب، وأن حكمه حكم من فقد عقله في هذا المعنى، أي في عدم وقوع طلاقه، وفي عدم رده؛ لأنه يشبه فاقد الشعور بسبب شدة غضبه واستيلاء سلطان الغضب عليه، حتى لم يتمكن من التخلص من ذلك.

واحتجوا على هذا بقصة موسى عليه الصلاة والسلام، فإنه لما وجد

ومعه على عبادة العجل اشتد غضبه عليهم ، وجاء وألقى الألواح وأخذ رأس أخيه يجره إليه من شدة الغضب ، فلم يؤاخذه الله لا بإلقاء الألواح ، لا بجر أخيه هارون وهو نبي مثله ، ولو ألقاها تهاوئاً بها وهو يعقل لكان هذا عظيمًا ، ولو جرَّ إنسانُ النبيَّ بلحيته أو رأسه وآذاه لصار هذا كفرًا . لكن ما كان موسى في شدة الغضب العظيم لله عزَّ وجلَّ على ما جرى من قومه سامحه الله ، ولم يؤاخذه بإلقاء الألواح ولا بجر أخيه .

هذه من حجج الذين قالوا : إن طلاق هذا الذي اشتد به الغضب لا يقع ، وهكذا سببه لا تقع به ردة ، وهو قول قوي ، وظاهر ، وله حجج أخرى كثيرة بسطها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والعلامة ابن القيم ، واختاروا هذا القول .

وهذا القول أرجح عندي وهو الذي أفتي به ؛ لأن من اشتد غضبه ينغلق عليه قصده ، ويشبه المجنون بتصرفاته وكلامه القبيح ، فهو أقرب إلى المجنون والمعتوه منه إلى العاقل السليم ، وهذا قول أظهر وأقوى .
ولكن لا مانع من كونه يؤدَّب بعض الأدب إذا فعل شيئاً من أسباب الردة أو من وجوه الردة ، وذلك من باب الحيلة ، ومن باب الحذر من التساهل بهذا الأمر ، أو وقوعه منه مرة أخرى إذا أدَّب بالضرب أو بالسجن ونحو ذلك ، وهذا قد يكون فيه مصلحة كبيرة ، لكن لا يحكم عليه بحكم المرتدين من أجل ما أصابه من شدة الغضب التي تشبه حال الجنون ، والله المستعان .

« المرتبة الثالثة : فهو الغضب العادي ، الذي لا يزول معه العقل ، ولا يكون

معه شدة تضيق عليه الخناق ، وتفقدته ضبط نفسه ، بل هو دون ذلك ، غضب عادي يتكدر ويغضب ، ولكنه سليم العقل سليم التصرف .
فهذا عند أهل العلم تقع تصرفاته ، ويقع بيعه وشرائه وطلاقه وغير ذلك ؛ لأن غضبه خفيف لا يغير عليه قصده ولا قلبه . والله أعلم .

* * *

المزاح بالفاظ كفرية^(١)

س: المزاح بالفاظ فيها كفر أو فسق أمر موجود في بعض المجتمعات المسلمة، فحبذا لو ألقى سماحتكم الضوء على هذا الأمر وموقف طلبة العلم والدعاة منه؟

ج: لا شك أن المزاح بالكذب وأنواع الكفر من أعظم المنكرات ، ومن أخطرها ما يكون بين الناس في مجالسهم ، فالواجب الحذر من ذلك ، وقد حذر الله من ذلك بقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥-٦٦] .

وقد قال كثير من السلف - رحمهم الله - إنها نزلت في قوم قالوا فيما بينهم في بعض أسفارهم مع النبي ﷺ : « ما رأينا مثل قرأنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء » ، فأنزل الله فيهم هذه الآية . وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ،

(١) تحفة الإخوان ص (٤٤) .

ل له ثم ويل له^(١)» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح .
 فالواجب على أهل العلم وعلى جميع المؤمنين والمؤمنات الحذر
 من ذلك والتحذير منه لما في ذلك من الخطر العظيم والفساد الكبير
 معواقب الوخيمة ، عافانا الله والمسلمين من ذلك وسلك بنا وبهم صراطه
 المستقيم إنه سميع مجيب .

* * *

الاستهزاء بشعائر الإسلام^(٢)

س: ظهر في كثير من المجتمعات الإسلامية الاستهزاء بشعائر الذين
 طاهرة: كإعفاء اللحى، وتقصير الثياب، ونحوهما، فهل مثل هذا
 استهزاء بالذين الذي يُخرج من الملة؟ وبماذا تنصحون من وقع في مثل
 الأمر؟ وفقكم الله.

ج: لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من
 ملة أنواع الكفر لقول الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
 سَاهُونَ ﴾ [١٥] لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ [النوبة: ٦٥-٦٦].
 ويدخل في ذلك الاستهزاء بالتوحيد، أو بالصلاة، أو بالزكاة، أو

(١) رواه أحمد برقم (١٩٥٤٢)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في التشديد في
 الكذب، رقم (٤٩٩٠)، والترمذي: كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة
 يضحك بها الناس، رقم (٢٣١٥).

(٢) تحفة الإخوان ص (٣٩).

الصيام، أو الحج، أو غير ذلك من أحكام الدين المتفق عليها.
 أما الاستهزاء بمن يُعفي لحيته أو يُقصر ثيابه ويحذر الإسهال أو نه
 ذلك من الأمور التي قد تخفى أحكامها، فهذا فيه تفصيل، والواجب
 الحذر من ذلك، ونصيحة من يُعرف منه شيء من ذلك حتى يتوب إلى الله
 سبحانه - ويلتزم بشرعه، ويحذر الاستهزاء بمن تمسك بالشرع في ذلك
 طاعة لله - عز وجل - ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وحذرًا من غضب
 وعقابه والردة عن دينه وهو لا يشعر، نسأل الله لنا وللمسلمين جميعًا العاف
 من كل سوء إنه خير مستول.
 والله ولي التوفيق.

تكفير المستهزئ بالدين وتارك الصلاة^(١)

س: يقول السائل: هل يجوز للمسلم أن يكفر رجلاً مسلماً لا يصل
 الصلوات المكتوبة أو استهزأ بالقرآن؟ فهل يجوز أن تقول لمثل هؤلاء كفا
 وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟
 ج: نعم أيها السائل إذا وجد من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
 الله وأتى بعمل يقتضي الكفر وجب أن يكفر؛ لأن المسلم يكفر إذا أتى
 بشيء من نواقض الإسلام، فليس من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله معصوماً من أن يقع منه مكفر، لا، بل متى وجد منه مكفر كفر به

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٢٠).

ي يستهزئ بالصلاة أو يستهزئ بالصيام أو بشيء مما شرعه الله يكون راعداً عند جميع العلماء .

فقد ذكر العلماء ذلك في باب حكم المرتد فينبغي لك إذا كنت طالباً أن تراجع كلام أهل العلم ، وإلا فلتعلم أن هذا كفر وضلال وردة عن الإسلام كما قال الله جل وعلا : ﴿ قُلْ أَيْلَهُمْ وَعَائِنَهُمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَهْتَفُونَ ﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

وهكذا الذي يترك الصلاة عمداً ولا يصلي كافر أيضاً في أصح قولي علماء ، وإن لم يجحد وجوبها ، متى تركها تهاوناً وتكاسلاً فإنه يكفر .
ك في أصح قولي العلماء ؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام : « رأس الإسلام وعموده الصلاة ^(١) » فمن ترك عمود الإسلام كفر .

ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في الصحيح : « بين جل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة » ^(٢) .

ولقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة تركها فقد كفر » ^(٣) هذا هو الصواب من أقوال أهل العلم ، وقال بعض

رواه أحمد برقم (٢١٥١١) ، والترمذي : كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، رقم (٢٦١٦) ، وابن ماجه : كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة ، رقم (٣٩٧٣) .

رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، رقم (٨٢) .

رواه أحمد برقم (٢٢٤٢٨) ، والترمذي : كتاب الإيمان ، باب ما جاء في ترك =

أهل العلم : إنه لا يكفر كفراً أكبر بل كفره كفر أصغر ما لم يجحد وجوبها فإن جحد وجوبها كفر بالإجماع ، أما ما دام يعلم أنها فريضة ولكن يغفل عليه الكسل والتساهل فلا يصلي فلا يكفر بذلك عند جمع من أهل العلم ولكن يكون عاصياً معصية عظيمة أعظم من معصية الزنا وشرب الخمر ونحو ذلك ، ويكون كافراً كفراً دون كفر . هذا قول جمع من أهل العلم .

والصواب القول الأول : إنه كافر كفراً أكبر للأحاديث السابقة ولأخرى دلت على ذلك .

فالأوجب على أهل الإسلام الحذر من ذلك والمحافظة على الصلوات والعناية بها ، والعناية بأدائها في الجماعة ، هذا هو الواجب على كل مسلم .

وليس قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عاصماً تكفيره إذا وجد منه ناقض من نواقض الإسلام كما عرفت أيها السائل ، الاستهزاء بالدين كفر بالإجماع ولو قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهكذا لو أنكر البعث بعد الموت أو أنكر الجنة أو أنكر أن محمداً كافر بإجماع المسلمين ولو قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ لأن إنكاره لهذه الأمور تكذيب للرسول ﷺ وتكذيب لله في

الصلوة ، رقم (٢٦٦١) ، والنسائي : كتاب الصلاة ، باب الحكم في ترك الصلاة ، رقم (٤٦٣) ، وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب جاء فيمن ترك الصلاة ، رقم (١٠٧٩) .

خبر في كتابه ، وهكذا لو سب الدين أو سب الله أو سب الرسول ﷺ كفر بالإجماع ولو أتى بالشهادتين ، وهكذا لو قال : إن صوم رمضان غير واجب والزكاة مع توافر شروطها غير واجبة أو الحج مع الاستطاعة غير واجب ، فرب بالإجماع .

فينبغي لك أيها السائل وينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر من كل ما يسبب الكفر والخروج عن دائرة الإسلام ، وينبغي للمؤمن أيضًا أن يتفقه في دينه ويتبصر وأن يحذر الوقوع فيما حرم الله عليه وهو لا يشعر ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

حكم السحر والسحرة وبيان علاج المسحور^(١)

س: كثر في هذا العصر تعاظم السحر وإتيان السحرة ، فما حكم ذلك ؟
ما الطريقة المباحة لعلاج المسحور ؟

ج: السحر من أعظم الكبائر الموبقات ، بل هو من نواقض الإسلام ، لما قال الله - عز وجل - في كتابه الكريم : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمُوسَىٰ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

(١) تحفة الإخوان ص (٤٨) .

وَرَوْحِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَقُوا الْمَثُوبَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٢-١٠٣].

فأخبر - سبحانه - في هاتين الآيتين أن الشياطين يعلمون الناس السحر وأنهم كفروا بذلك، وأن الملكين ما يعلمان من أحدٍ حتى يُخبراه أن ما يعلمانه كفر وأنهما فتنة.

وأخبر - سبحانه - أن متعلمي السحر يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وأنهم ليس لهم عند الله من خلاق في الآخرة، والمعنى ليس لهم حظ ولا نصيب من الخير في الآخرة.

وبيّن - سبحانه - أن السحرة يفرّقون بين المرء وزوجه بهذا السحر وأنهم لا يضرّون أحداً إلا بإذن الله، المراد بذلك إذنه الكونيّ القدريّ لا إذنه الشرعيّ؛ لأن جميع ما يقع في الوجود يكون بإذنه القدريّ ولا يقع في ملكه ما لا يريد كونه وقدرًا، وبيّن - سبحانه - أن السحر ضد الإيمان والتقوى.

وبهذا كله يُعلم أن السحر كفر وضلال ورّدة عن الإسلام إذا كان من فعله يدّعي الإسلام، وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ، أنه قال: «واجتنبوا السبع الموبقات» قلنا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتوليّ يوم الرّحف، وقذف المحصنات».

مؤمنات الغافلات^(١)» فبيّن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح أن الشرك لسحر من السّبع الموبقات أي: المهلكات؛ والشرك أعظمها؛ لأنه يظلم الذنوب، والسحر من جملته ولهذا قرنه الرسول ﷺ به؛ لأن السحرة يتوصّلون إلى السحر إلا بعبادة الشياطين والتقرب إليهم بما يحبون من دعاء، والذبح، والنذر، والاستعانة وغير ذلك.

روى النسائي - رحمه الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن علّق شيئاً وكلّ إليه»^(٢). وهذا يفسر قوله تعالى في سورة الفلق: ﴿وَمِن كَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، قال أهل التفسير: إنهن ساحرات اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها بكلمات شركية يتقربن بها إلى شياطين لتنفيذ مرادهم في إيذاء الناس وظلمهم.

وقد اختلف العلماء في حكم الساحر، هل يُستتاب وتقبل توبته؟ أم يقتل كل حال ولا يُستتاب إذا ثبت عليه السحر؟ والقول الثاني: هو الصواب؛ لأن بقاءه مضرّ بالمجتمع الإسلامي والغالب عليه عدم الصدق في التوبة؛ لأن في بقاءه خطراً كبيراً على المسلمين، واحتج أصحاب هذا القول على

(١) رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ﴾، رقم (٢٧٦٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٩).

(٢) رواه النسائي: كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة، رقم (٤٠٧٩).

ما قالوه : بأن عمر - رضي الله عنه - أمر بقتل السحرة ولم يستتبهم وهو ثا
الخلفاء الراشدين الذين أمر الرسول ﷺ ، باتباع سنتهم .

واحتجوا أيضًا بما رواه الترمذي - رحمه الله - عن جندب بن عبد
البحلي أو عن جندب الخير الأزدي مرفوعًا وموقوفًا : « حدّ الساحر ضرر
بالسيف ^(١) » وقد ضبطه بعض الرواة بالتاء ، فقال : « حدّ الساحر ضرر
بالسيف ^(٢) » . والصحيح عند العلماء وقفه على جندب .

وصحّ عن حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها أمرت بقتل جار
لها سحرتها فقتلت من غير استتابة ^(٣) . قال الإمام أحمد - رحمه الله - ثبت
ذلك - يعني قتل الساحر - من غير استتابة عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ
يعني بذلك : عمر ، وجندب ، وحفصة .

ومما ذكرنا يُعلم أنه لا يجوز إتيان السحرة وسؤالهم عن شيء و
تصديقهم ، كما لا يجوز إتيان العرافين والكهنة ، وأن الواجب قتل الساحر
متى ثبت تعاطيه السحر بإقراره أو بالبينّة الشرعية من غير استتابة .

أما العلاج للسم فيعالج بالرقى الشرعية والأدوية النافعة المباحة ، ومن
أنفع العلاج علاج المسحور بقراءة الفاتحة عليه مع النفث وآية الكرسي
وآيات السحر في الأعراف ، ويونس ، وطه ، وبقرأة : ﴿ قُلْ يَتَأْتِرُ

(١) انظر فتح الباري : (٢٣٦/١٠) .

(٢) رواه الترمذي : كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد الساحر ، رقم (١٤٦٠) .

(٣) الموطأ : كتاب العقول ، باب ما جاء في الغيلة والسحر ، رقم (١٦٢٤) .

لَكَفَرُونَ ﴿١﴾، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿٢﴾، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ ﴿٣﴾، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿٤﴾ ويستحب تكرار هذه السور الثلاث
ثلاث مرات مع الدعاء الصحيح المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ
لعلاج المرضى وهو: «اللهم رب الناس اذهب البأس واشف أنت الشافي لا
شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(١) ويكرر ذلك ثلاثاً.

ويدعو أيضاً بالرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ، وهي: «بسم الله
القيوم، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك،
بسم الله أرقيك»^(٢). ويكررها ثلاثاً وهذه الرقية من أنفع العلاج بإذن الله
سبحانه.

ومن العلاج أيضاً إتلاف الشيء الذي يظن أنه عمل فيه السحر من صوف
أو خيوط معقدة أو غير ذلك مما يُظن أنه سبب السحر، مع العناية من
ممسحور بالتعوذات الشرعية، ومنها التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما
خلق، ثلاث مرات صباحاً ومساءً، وقراءة السور الثلاث المتقدمة بعد
صباح والمغرب ثلاث مرات، وقراءة آية الكرسي بعد الصلاة وعند النوم.
ويستحب أن يقول صباحاً ومساءً: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات، لصحة

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، رقم (٥٧٤٣)، ومسلم:

كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

(٢) رواه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦).

ذلك كله عن النبي ﷺ، مع حسن الظن بالله والإيمان بأنه سبب الأسباب وأنه هو الذي يشفي المريض إذا شاء، وإنما التعوّذات والأدوية أسباب والله - سبحانه - هو الشافي، فيعتمد على الله سبحانه وحده دون الأسباب ولكن يعتقد أنها أسباب إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها المنفعة لما له سبحانه - من الحكمة البالغة في كل شيء، وهو - سبحانه - على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا رادّ لما قضى، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه ولم يتوفيق.

* * *

حكم التداوي عند السحرة والكهنة والعرافين^(١)

س: سماحة الشيخ: هل يجوز التداوي عند الساحر أو الكاهن؟ وهل هذا يعد من الشرك المحبط للعمل أم لا؟

ج: لا يجوز التداوي من السحرة والكهنة؛ لأن النبي ﷺ نهى عن إتيان الكهنة والسحرة. قال ﷺ: «لا تأتوهم»^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»^(٣) رواه مسلم.

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/١٤١).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٣٢٥٠)، والنسائي: كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة رقم (١٢١٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم (٢٢٣٠).

بِالصَّحِيحِ .

والعرَّاف يطلق على الكاهن ، والمنجم ، والساحر ، والرَّمَّال
أشباههم . وقال ﷺ : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل
على محمد ^(١) » عليه الصلاة والسلام ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس
شئ من سحر أو سحر له ، وليس منا من تكهن أو تكهن له » ^(٢) .

فلا ينبغي للمؤمن أن يأتي العرافين ، ولا الكهنة ، ولا المنجمين ، بل
حذرهم غاية الحذر ، ولا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم ؛ فسؤالهم منكر
ليس من الشرك ، وتصديقهم بأنهم يعلمون الغيب فهذا كفر أكبر ؛ لأن
علم الغيب إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن زعم أن أحداً يعلم الغيب غير الله
سبحانه من نبي أو غيره فهو كافر ؛ لأن علم الغيب إلى الله سبحانه وتعالى ،
ل تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] ،
غيب عنده سبحانه وتعالى ليس إلى غيره .

* * *

الطريقة الشرعية لإبطال السحر ^(٣)

س : ما هو العمل لإبطال السحر بارك الله فيكم ؟

ج : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة

(١) رواه أحمد برقم (٩٢٥٢) .

(٢) المطالب العالية (١١/١٨٩) .

(٣) فتاوى نور على الدرب (١/٢١٢) .

للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمين
على وحيه ، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه
ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين . . . أما بعد :

فعلاج السحر يكون بشيئين :
أحدهما: الرقى الشرعية .

والثاني: الأدوية المباحة التي جربت في علاجه .

ومن أنجع العلاج وأنفع العلاج الرقى الشرعية ، فقد ثبت أن الرقى
يرفع الله بها السحر ، ويبطل بها السحر .

وهناك نوع ثالث وهو : العثور على ما فعله الساحر من عقد أو غيرها
وإتلافها ، كذلك من أسباب زوال السحر وإبطاله .

فمن الرقى التي تستعمل أن يُرقي المسحور بفاتحة الكتاب ، وآية
الكرسي ، ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ
بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ مع آيات السحر التي جاءت في
سورة الأعراف ، وسورة يونس ، وسورة طه ، وهي قوله سبحانه في سورة
الأعراف : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ١١٧ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ١١٨ ﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿
[الأعراف: ١١٧ - ١١٩] ، وفي سورة يونس يقول سبحانه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوِينِي
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ٧٩ ﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿
فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
الْمُفْسِدِينَ ﴿ ٨١ ﴾ وَيَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٧٩ - ٨٢] .

وفي سورة طه يقول سبحانه : ﴿ قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۚ قَالَ بَلَىٰ أَلْقُوا فَإِذَا جِآءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَنْعَى ۚ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ۚ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۚ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ۚ ٦٥-٦٩] .

هذه الآيات الكريمات العظيمات يُنفث بها في الماء ، ثم بعد ذلك صب هذا الماء الذي قرأت فيه على ماء أكثر ، ثم يغتسل به المسحور ، يشرب منه بعض الشيء ، كثلث حسوات يشربها منه ، ويزول السحر بإذن الله ويبطل ، ويُعافى من أصيب بذلك ، وهذا مجرب مع المسحورين ، جربناه نحن وغيرنا ونفع الله به من أصابه شيء من ذلك .
وقد يوضع في الماء سبع ورقات خضر من السدر تدق وتُلقي في الماء لذي يقرأ فيه ، ولا بأس بذلك ، وقد ينفع الله بذلك أيضًا ، والسدر معروف وهو شجر النبق .

وهناك أدوية لمن يتعاطى هذا الشيء ، ويعالج بهذا الشيء ، أدوية مباحة قد يستفاد منها في علاج السحر وإزالته كما أشار إلى هذا العلامة ابن القيم رحمه الله في بيان النشرة المشروعة ، وقد ذكر ذلك أيضًا الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابه «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد» ، في باب ما جاء في النشرة .

أما ما يتعلق بإتيان الكهان ، أو السحرة ، والمشعوذين فهذا لا يجوز ، وإنما الطريق الشرعي هو ما ذكرناه من القراءة على المسحور ، أو القراءة

في ماء ويشربه ويغتسل منه ، وإن وضع فيه سبع ورقات من السدر الأخضر الرطبة ودقت فهذا أيضًا قد ينفع بإذن الله مع القراءة ، وهذا شيء مجرب كقدم .

والغالب على من استعمل هذا مع إخلاصه لله وتوجهه إلى الله بطلب الشفاء أنه يعافى بإذن الله ، وعلى المسحور أن يضرع إلى الله وأن يسأله كثير أن يشفيه ويعافيه ، وأن يصدق في طلبه ، وأن يعلم أن ربه هو الذي يشفيه وهو الذي بيده الضر والنفع ، والعطاء والمنع وليس بيد غيره سبحانه وتعالى .

* * *

حول نصيحة من كفر بالله^(١)

س: يقول السائل: إذا كفر أحد الأشخاص بالله وبالرسول ﷺ فهذا يحرم على الشخص أن يقول له: استغفر الله؟
ج: من كفر فإن الواجب على من حوله من المسلمين أن ينصحه ، وأن ينبهه على ما فعل ، ويبين له سوء عمله ، ويأمره بأن يستدرك أمره ويتوب إلى الله مما فعل ، هذا هو المشروع والواجب ، لقول النبي ﷺ: «من رأى منكراً فليغيره بيده...»^(٢) الحديث .

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/١٢٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم (٤٩).

ولأن هذا من الدعوة إلى الله، ومن النصيحة لعباد الله، وقد قال النبي ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»^(١) وأعظم الخير الدلالة على الإسلام والدعوة إلى التوبة من المعاصي ومن الردة، هذا هو أعظم الخير، قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً أحداً خيراً لك من حمر النعم»^(٢) فكونه ينصحه ويوجهه ويقول له: استغفر له، تب إلى الله، هذه جريمة عظيمة، هذا منكر عظيم، هذا كفر، هذا سلال لعله يرجع فيتوب، فهذا خير عظيم وعمل صالح.

* * *

التحذير من النفاق وأهله^(٣)

س: في هذا الزمان عظم النفاق وكثر أهله، وتعددت وسائله في حاربة الإسلام والمسلمين، فحبذا لو أقيمت الضوء على خطر النفاق مع بيان أنواعه، وذكر صفة أهله وتحذير المسلمين منهم؟

ج: النفاق خطره عظيم، وشرور أهله كثيرة، وقد أوضح الله صفاتهم في كتابه الكريم في سورة البقرة وغيرها، كما أوضح صفاتهم أيضاً نبيه

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم (١٨٩٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رقم، رقم (٣٠٠٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٦).

(٣) تحفة الإخوان ص (٥٣ - ٥٥).

ﷺ. قال الله سبحانه في وصفهم في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَنُوا وَ لَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨١﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠]، والآيات بعدها. وفي سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣]. وذكر عنهم صفات أخرى في سورة التوبة وغيرها.

والخلاصة أنهم يدعون الإسلام، ويتخلقون بأخلاق تخالفه، وتضاهي أهله، كما بين سبحانه في هذه الآيات وغيرها.

النفاق نوعان: اعتقادي وعملي؛

وما ذكر الله عن المنافقين في سورة البقرة والنساء من صفات المنافقين: اتفاق الاعتقادي الأكبر، وهم بذلك أكفر من اليهود والنصارى وعباد الأوثان، لعظم خطرهم وخفاء أمرهم على كثير من الناس، وقد أخبر الله عنهم سبحانه أنهم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

أما النفاق العملي فهو التخلق ببعض أخلاقهم الظاهرة، مع الإيمان بالله وبرسوله والإيمان باليوم الآخر؛ كالكذب، والخيانة، والتكاسل عن الصلاة في الجماعة، ومن صفاتهم ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمر

بأن^(١)» وقوله ﷺ: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة فجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»^(٢). والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحذر صفاتهم غاية الحذر، ومما يبين على ذلك تدبر ما ذكره الله في كتابه من صفاتهم، وما صحت به السنة من رسول الله ﷺ في ذلك.

والله المسؤول أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقہ في دينه، والثبات عليه، والحذر من كل ما يخالف شرعه، ومن التشبه بأعدائه في أخلاقهم وأعمالهم، إنه خير مسؤول.

* * *

القبورىون والعبادة^(٣)

س: يقال: إن المشركين الأولين كانوا يعترفون بأنهم ما يعبدون هتهم إلا ليقربوهم إلى الله، وكانوا يعبدون أصنامًا، فكيف تحكمون على أن تسموئهم بالقبورىين بالشرك، وهم لا يعبدون أصنامًا، ولا قالوا إنهم

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، رقم (٦٥٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم (٦٥١).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/١٣٦).

يعبدون، ولكنهم يتبركون؟

ج: العبادة ليست تعرف بأراء الناس وإنما هي بحكم الله عز وجل فالمشركون الأولون معبوداتهم أقسام، منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأججار، ومنهم من يعبد غير ذلك؛ فليسوا على حد سواء.

وقد كفرهم الله جميعاً حتى دخلوا في دين الله، وحتى يعبدوا الله وحده، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْكَلْبَةِ وَالنِّعَاسِ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فجعل عبادة النبيين والملائكة كفاراً، إذ لم ينصاعوا إلى الحق، ومعلوم أن أهل الطائفة يعبدون اللات وهو رجل صالح فكفرهم الله، حتى دخلوا في الإسلام، وقاتلهم النبي ﷺ حتى دخلوا في الإسلام.

وهكذا النصارى يعبدون المسيح، ويعبدون أمه، والمسيح نبي وأمه صديقة، وهم كفار بذلك.

وهكذا اليهود عبدوا أخبارهم ورهبانهم، وعبدوا عزيزاً، وقالوا: إن ابن الله، وهم كفار بذلك.

والله جل وعلا قال في محكم التنزيل: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧]، أخبر سبحانه عن بعض المشركين أنهم يعبدون ناساً صالحين يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويرجون رحمته،

يخافون عذابه، فأنكر عبادتهم من دون الله، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويله.

وقد قال علماء التفسير في هذه الآية: إنها نزلت في المسيح وأمه العزيز، وفي كل رجل صالح أو نبي.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها نزلت في أناس من الإنس، كانوا عبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك الإنس بعبادتهم.

فالحاصل أنها نزلت في الصالحين والأنبياء، وكفر الله عابديهم بذلك، وأخبر أنهم لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويله.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣]

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]

﴿فَسَمِيَ دُعَاءَهُمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ، مع أنهم لم يدعواهم إلا لأنهم شفعاء، ما دعواهم لأنهم يملكون الضر والنفع، أو يخلقون أو يرزقون، بل قال الله عنهم: إنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]

﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فكفرهم بذلك، وهم لم يعتقدوا إلا أنهم شفعاء ومقربون، ولم يزعموا أنهم يخلقون أو يرزقون، أو ينفعون أو يضررون.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]

﴿سماهم كفارًا وهم ما عبدوهم لأنهم ينفعون أو يضررون، أو يستقلون بجلب النفع، أو دفع

الضر، أو يخلقون وإنما عبدوهم لأنهم بزعمهم يقربونهم إلى الله زلفى ويشفعون لهم عنده.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿[الأحقاف: ٥٠-٦٠]، فهذه عامة للأنبياء والصالحين وغيرهم.

والمقصود أن أهل العلم قاطبة، قد أجمعوا على أن من عبد غير الله، صنداً أو نبياً أو صالحاً أو جنياً أو غير ذلك، فهو كافر مطلقاً، ولو كان المعبود نبياً أو صالحاً، وهذا إجماع أهل العلم قاطبة، والأدلة على ذلك من قول الله عز وجل، وقول رسوله ﷺ واضحة، وقد تقدم بعضها، والله جل وعلا ولي التوفيق.

* * *

التبرك بالأموات^(١)

وأما قول السائل: أولئك قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا، فاعترفوا بالعبادة ولكن هؤلاء المتأخرين ما يقولون إنهم يعبدونهم، ولكن يقولون إنهم يتبركون بهم.

فالجواب: أن يقال: الاعتبار بالحقائق والمعنى لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم، لم يتفعهم ذلك، ماداموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسموا ذلك عبادة، بل سموه توسلاً أو تبركاً،

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/٧١٠، ٧١١).

يعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين والذبح لهم السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، سموها غير ذلك، لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء كما تقدم.

ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى حنين لما راوا المشركين يعلقون أسلحتهم على سدره. قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر قلتم وانذني في بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»^(١). فجعل المقالة واحدة، مع أن هؤلاء قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، فعمل قولهم مثل قول بني إسرائيل، لأنَّ العبرة بالمعنى والحقائق، بالألفاظ.

* * *

حكم طلب الشفاعة من النبي ﷺ^(٢)

س: يقول السائل: كثير من الناس يقولون: الشفاعة يا محمد. فهل هذا قول شرك؟

ج: طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو من غيره من الأموات لا يجوز، وهو شرك أكبر عند أهل العلم؛ لأنه لا يملك شيئاً بعدما مات عليه الصلاة

(١) رواه أحمد برقم (٢١٣٩٣)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتتركن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠).
(٢) فتاوى نور على الدرب (١٥٠/٢).

والسلام، والله يقول: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].
 فالشفاعة ملكه سبحانه وتعالى، والنبي ﷺ وغيره من الأموات لا يملكون التصرف بعد الموت في شفاعة ولا في دعاء ولا في غير ذلك الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث «صدقة جارية، أو علم ينتفع أو ولد صالح يدعو له»^(١) وإنما جاء أنها تعرض عليه الصلاة والسلام ول قال: «صلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(٢).
 وأما حديث إنه تُعرض عليه الأعمال فما وجد فيها من خير حمد وما وجد فيها من شر استغفر لنا؛ فهذا حديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ، ولو صح لم يكن فيه دلالة على أننا نطلب منه الشفاعة.
 فالحاصل أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو من غيره من الأموات لا يجوز، وهو على القاعدة الشرعية من الشرك الأكبر؛ لأنه طلب الميت شيئاً لا يقدر عليه، كما لو طلب منه شفاء المريض أو النصر على الأعداء أو غوث المكروبين أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من أنواع الشرك الأكبر، ولا فرق بين طلب هذا من النبي ﷺ، أو من الشيخ عبد القادر أو من فلان أو فلان، أو من البدوي أو من الحسين أو غير ذلك؛ طلب من الموتى أمر لا يجوز، وهو من أقسام الشرك.

(١) رواه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم (١٦٣١).

(٢) رواه أبوداود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤٢).

وإنما الميت يترحم عليه إذا كان مسلمًا، ويُدعى له بالمغفرة رحمة، والنبي ﷺ إذا سلم عليه مسلم يصلي عليه - عليه الصلاة والسلام يدعو له، أما أن يطلبه المدد أو الشفاعة أو النصر على الأعداء كل هذا بجوز، وهذا من عمل أهل الجاهلية ومن عمل أهل الشرك، فيجب على مسلم أن ينتبه لهذا وأن يحذر مثل هذا.

* * *

ما يشرع في التوسل بالنبي وما لا يشرع^(١)

س: ما حكم التوسل بسيد الأنبياء؟ وهل هناك أدلة على تحريمه؟
ج: التوسل بالنبي ﷺ فيه تفصيل، فإن كان ذلك باتباعه ومحبه وطاعة مره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام، وهو دين الله يبعث به أنبياءه، وهو الواجب على كل مكلف، وهو الوسيلة للسعادة الدنيا والآخرة، أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر على أعداء والشفاء للمرضى فهذا هو الشرك الأكبر، وهو دين أبي جهل شباهه من عبدة الأوثان، وهكذا فعل ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام.

وهناك نوع ثالث يُسمى التوسل وهو التوسل بجاهه ﷺ أو بحقه بذاته مثل أن يقول الإنسان: أسألك يا الله بنبيك أو جاه نبيك أو حق نبيك جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين. أمثال ذلك، فهذا

بدعة ومن وسائل الشرك، ولا يجوز فعله معه ﷺ ولا مع غيره؛ لأن سبحانه وتعالى لم يشرع ذلك. والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما عليه الشرع المطهر، وأما توسل الأعمى به في حياته ﷺ فهو توسل به ﷺ ليدعو له ويشفع له إلى الله في إعادة بصره إليه، وليس توسلاً بالذات أو الجاه أو الحق كما يُعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علم السنة في شرح الحديث.

وقد بسط الكلام في ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه في كتبه الكثيرة المفيدة، ومنها كتابه المسمى (القاعدة الجلية في التوسل والوسيلة) وهو كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه. وهذا الحكم جائز مع غيره ﷺ من الأحياء كأن تقول لأخيك أو أبي أو من تظن فيه الخير: ادع الله لي أن يشفيني من مرضي أو يرد عليّ بصري يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم؛ والله ولي التوفيق.

* * *

الفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة الشركية^(١)

س: يقول السائل: أسألكم عن زيارة قبور الصالحين وتقبيلها أو تقبيل ترابها والتبرك به، هل هذا يجوز أم لا؟ وما حكم طلب المدد من غير الله؟
ج: زيارة القبور للصالحين والمسلمين عموماً سنة وقربة، فالرسول ﷺ أمر بزيارة القبور وحث عليها وأخبر أنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا

ذكر الموت قال عليه الصلاة والسلام: «زوروا القبور فإنها تذكر خيرة»^(١) وكان عليه الصلوة والسلام يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقرأوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»^(٢). وفي حديث عائشة يقول: «رحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين»^(٣).

فعلينا معشر المسلمين أن نعلم هذا الحكم، ويشرع لنا أن نزور القبور كرى والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا والإحسان للموتى بالدعاء بالمغفرة والرحمة والعافية، وهي تذكر الآخرة وأن العبد صائر إلى ما روى إليه من هذا الموت حتى يستعد للآخرة.

أما تقبيل القبور فلا تقبل القبور ولا النصاب ولا التراب ولا الجدران كان عليها جدران، كل هذا منكر لا يجوز، وهذا من الغلو ولا يجوز بناء على القبور، لا بد أن تكون مكشوفة ليس عليها بناء، واتخاذ القباب لها من البدع، وهكذا بناء المساجد عليها من البدع، أنكرها الرسول ﷺ ل: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٤).

رواه ابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم (١٥٦٩).

رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم (٩٧٥).

رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم (٩٧٤).

رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، رقم (١٣٩٠)، =

وقال جابر رضي الله عنه: «نهى النبي ﷺ عن تجصيص القبور والقعر عليها والبناء عليها والكتابة عليها^(١)» فليس لأحد أن يبني على القبور؛ قباباً ولا مساجد ولا غير ذلك، وليس له أن يقبلها ولا أن يتبرك بترابها، وأن يطلب من الشيخ المدد، ولا يجوز أن يقول: يا رسول الله مدد مدد، و يقول: مدد يا فلان، يا شيخ عبد القادر أو يا بدوي أو يا حسين، أو يا حنيفة أو يا أبا فلان. كل هذا لا يجوز.

المدد لا يطلب من الميت، إنما يطلب من الله جل وعلا، تقول: يا رب أغثنِي، يا رب ارحمني، يا رب اشف مريضِي، يا رب ارزقني. أما طلب المدد من الموتى فهو شرك بالله عز وجل، وهو من الشرك الأكبر ومن عمل الجاهلية فلا يقبل الحجارة ولا النصاب، ولا يأخذ التراب للبركة ولا يطلب المدد من المخلوق الميت، أما الحي الحاضر تقول: يا أخا ساعدني، بكذا أو أعني على كذا، وهو حي حاضر فلا بأس.

أما الميت فلا تطلب منه شيئاً من شفاء مريض أو دفع ضرر، أو نصر عا عدو؛ لأن الميت انقطع عمله، وليس له التصرف في الكون، بل التصرف لله وحده سبحانه وتعالى، هو المالك لكل شيء، والقاهر فوق عباده، وه النافع الضار، المعطي المانع، المدبر للكون سبحانه وتعالى، وأما الميت

ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (٥٢٩).

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم (٩٧٠).

مرتهن بعمله ، ليس له تصرف .

قال النبي ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة رية» مثل الأوقاف التي وقفها في حياته «أو علم ينتفع به» كالكتب التي لها أو طلبة علمهم فله أجر ذلك ، «أو ولد صالح يدعوله»^(١) .
أما كونه يتصرف في الكون فيمد هذا أو يمد هذا أو ينصر هذا فهذا لا حقيقة له ولا صحة له .

أما الاستغاثة بالأصوات والنذر لهم والتقرب إليهم بالذبائح وطلب المدد ففوت ، فكل هذا من فعل الجاهلية ومن عمل أهل الشرك ، وهو شرك ويجب الحذر منه .

ولذلك عليك أيها السائل أن تبلغ إخوانك الذين يفعلون هذا أن هذا شرك ، وأنه شرك ، وأنه يجب ترك ذلك والتوبة إلى الله منه ؛ لأن هذا من الجاهلية .

* * *

حكم التوسل بالموتى وزيارة القبور^(٢)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله
صحابه ، أما بعد :

(١) سبق تخريجه ص (٨٦) .

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٣/ ٩٥٣ ، ٩٥٤) .

س: فقد سئلت عن حكم التوسل بالموتى وزيارة القبور فاجبت بما يلي
 ج: إذا كانت الزيارة لسؤال الموتى والتقرب إليهم بالذبائح والنذر
 والاستغاثة بهم ودعوتهم من دون الله فهذا شرك أكبر ، وهكذا ما يفعلون
 من يسمونهم بالأولياء سواء كانوا أحياء أو أمواتا حيث يعتقدون فيهم أن
 ينفعونهم أو يضرّونهم أو يجيبون دعوتهم أو يشفون مرضاهم ، كل
 شرك أكبر والعياذ بالله ، وهذا كعمل المشركين مع اللات والعزى و
 ومع أصنامهم وآلهتهم الأخرى .

والواجب على ولاية الأمر والعلماء في بلاد المسلمين أن ينكروا
 العمل ، وأن يعلموا الناس ما يجب عليهم من شرع الله ، وأن يمنعوا
 الشرك ، وأن يحولوا بين العامة وبينه ، وأن يهدموا القباب التي على الق
 ويزيلوها ، لأنها فتنة ولأنها من أسباب الشرك ولأنها محرمة ، فالرسول
 نهى أن يُبنى على القبور ، وأن تُجصّص وأن يقعد عليها وأن يُصلى إليها
 ولعن من اتخذ عليها المساجد ؛ فلا يجوز البناء عليها لا مساجد
 غيرها ، بل يجب أن تكون بارزة ليس عليها بناء كما كانت قبور المسلمين
 في المدينة المنورة ، وفي كل بلد إسلامي لم يتأثر بالبدع والأهواء .

أما زيارة القبور للذكرى والدعاء للميت والترحم عليه فذلك سنة
 حق الرجال من دون شدّ رحل لقول النبي ﷺ : « زوروا القبور فإنها تذكركم
 الآخرة »^(١) خرّجه مسلم في صحيحه ، وكان عليه الصلاة والسلام ي

سحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين»^(١)، وخرج الترمذي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله بهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: سلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن لأثر»^(٢). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(٣). والله يوفيق و صلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

التقرب للأموات بالذبح والنذور^(٤)

س: يقول السائل: ما حكم قراءة الفاتحة وذبح المواشي ودفع الفلوس للأموات؟

ج: تقدم أن التقرب للأموات بالذبائح أو بالفلوس أو بالنذور أو غير ذلك من الشرك الأكبر ولا يجوز، وهذا من العبادات التي لا تكون إلا لله

(١) سبق تخريجه ص (٨٩).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الجائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، رقم (١٠٥٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٩). ومسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم (١٣٩٧).

(٤) فتاوى نور على الدرب (٢/١٦٢).

وحده، الذبح لله وحده، وهكذا النذور وهكذا الصدقات كلها لله وحده قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك لله ﴿[الأنعام: ١٦٣]﴾ يعني ذبحي لله وحده.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿[الكوثر: ١-٢]﴾ وقال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» (١) مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه .
فالذبح لغير الله من أولياء أو كوكب أو جن شرك بالله عز وجل، وهذا للأصنام كله شرك بالله عز وجل، أما الذبح لله فهو عبادة، إذا تقرب إلى الله بالذبايح من ضحايا وهدايا وبالنذور كل هذا عبادة لله وحده سبحانه وتعالى، فهذه العبادة لا تصرف لغير الله، لا للأولياء ولا للأنبياء ولا للأصنام ولا للكواكب ولا لغيرها من المخلوق.

وكذلك كونه يقدم نقوداً لصاحب القبر، فالنقود قربة مثل ما يتفق إلى الله بالصدقات التي يعطيها الفقراء، فإذا أعطى الفقراء نقوداً فهي صدقات يرجي ثوابها من الله عز وجل، فإذا قدمها للميت فقد عبده بهذه الصلوات وعبده بهذه النقود التي يتقرب بها للميت، ويأخذها زيد وعمر، فلهذا منكر عظيم، وشرك فظيع، ولا يجوز أبداً، فيجب على المؤمن أن يحذر هذه الشرور وأن ينبه غيره على ذلك، والله المستعان.

(١) رواه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، رقم (١٩٧٨)

إقامة الموالد لأصحاب الأضرحة^(١)

س: يوجد بقريتنا ضريح لأحد الأولياء، والناس يأتون إليه ويقدمون إليه النذور والذبائح ويطوفون بالقبر ويتمسحون به ابتغاء البركة، يقيمون عنده حلقات الذكر، وكل ذلك مع اختلاط النساء بالرجال، ومع أنهم لصاحب القبر والاستغاثة به وطلب العون منه، فما الحكم في هؤلاء الناس وفي أفعالهم هذه؟ وما الحكم في المولد لهذا الشيخ ولغيره؟

ج: الذي يأتي إلى ضرائح الموتى، ويدعهم ويسألهم شفاء المرضى أو طلب منهم المدد والعون أو دخول الجنة أو النجاة من النار أو ينذر لهم أو يبعيهم أو يطوف بقبورهم يطلب البركة منهم والأجر منهم أو النجاة من النار أو الشفاء من المرض أو سعة الرزق أو ما أشبه ذلك، كله كفر أكبر شرك أكبر والعياذ بالله.

هذا دين المشركين قال الله جل وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، قال سبحانه في حق الأصنام والمعبودين من دون الله جميعاً: ﴿إِنْ دَعَوْهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] سماه شركاً، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [مؤمنون: ١١٧] فسمى دعوة غير الله كفراً وضلالاً وشركاً، وهكذا إقامة

الأذكار أو الموالد عند القبر بدعة، إقامة الحفل عند القبر أو المولد الأذكار أو الحلقات العلمية أو القرآن هذا بدعة وليس بشرك .
أما طلب الحاجات منه والتمسح بتراب قبره لطلب البركة أو لطا شفاء المريض فهذا من الكفر الأكبر، نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة بالله .

أما الموالد فكلها بدعة والاحتفال بالموالد كلها بدعة عند المحققين
أهل العلم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ما شرع لنا ذلك، فالرسول ﷺ يحتفل بمولده، وهكذا الصحابة لم يحتفلوا بمولد النبي ﷺ ولا بمو الصديق ولا بمولد عمر ولا عثمان ولا علي، وهم قدوة وهم الأخيار، ف كان هذا خيراً سبقونا إليه .

فالاحتفال بمولد النبي ﷺ أو المشايخ أو الأمراء أو غيرهم كله بدعة وكله لا يجوز لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمر فهو رد»^(٢)، يعني مردود، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «إياكم ومحدث الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٣)، وكان يقول في خطب

(١) رواه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم (٢٦٩٧) ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

(٣) رواه أحمد برقم (١٦٦٩٤)، وأبوداود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، رقم (٢٦٧٦).

معة عليه الصلاة والسلام: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي
ي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(١).

فالأوجب على أهل الإسلام أن يحذروا هذه البدع وأن يبتعدوا عنها، وإذا
فيها اختلاط بين الرجال والنساء صار الأمر أكبر وصارت الفتنة أعظم
لأن الإثم أكثر؛ فإن الاختلاط بين الرجال والنساء عند قبر أو في أي احتفال
ر، ومن أسباب الزنا والفواحش ومن أسباب الوقوع في المحارم.

فالأوجب الحذر من ذلك حتى في غير الاحتفال، حتى في الولائم
عري، فلا يجوز أن يجتمع الرجال والنساء في حفلة ويختلطوا في حفلة
س أو في أي حفلة؛ لأن هذا يسبب فتنة للرجال بالنساء وللنساء بالرجال،
أوجب التمييز وأن يكون اجتماع النساء على حدة واجتماع الرجال على
ة في الولائم وفي الاحتفالات الجائزة شرعاً مثل الأعراس وغيرها.

* * *

احتفال المسلمين بالمولد النبوي^(٢)

س: هل يحل للمسلمين أن يحتفلوا بالمولد النبوي؟ هل يحل للمسلمين
حتفلوا في المسجد ليتذكروا السيرة النبوية الشريفة في ليلة ١٢ ربيع
ل بمناسبة المولد النبوي الشريف بدون أن يعطلوا نهاره كالعيد؟
تلفنا فيه: قيل بدعة حسنة، وقيل بدعة غير حسنة؟

وابن ماجه: أبواب المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم (٤٦).

رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/٨٧٦، ٨٧٧).

ج: ليس للمسلمين أن يقيموا احتفالاً بمولد النبي ﷺ في ليلة ١٢ ر الأول ولا في غيرها، كما أنه ليس لهم أن يقيموا أي احتفال بمولد غيره الصلاة والسلام؛ لأن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثه في الدين؛ النبي ﷺ لم يحتفل بمولده في حياته ﷺ وهو المبلغ للدين والمش للشرائع عن ربه سبحانه ولا أمر بذلك، ولم يفعله خلفاؤه الراشدون أصحابه جميعاً ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة؛ فعلم بدعة وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١) من على صحته، وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري جازماً بها: «من عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

والاحتفال بالموالد ليس عليه أمر النبي ﷺ بل هو مما أحدثه الناس دينه في القرون المتأخرة فيكون مردوداً، وكان عليه الصلاة والسلام يفي خطبته يوم الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(٣) رواه مسلم صحيحه، وأخرجه النسائي بإسناد جيد وزاد: «وكل ضلالة في النار»^(٤) ويغني عن الاحتفال بمولده ﷺ تدريس الأخبار المتعلقة بالمولد ضمن الدروس التي تتعلق بسيرته عليه الصلاة والسلام وتاريخ حياته في الجاه

(١) سبق تخريجه ص (٩٧).

(٢) سبق تخريجه ص (٩٧).

(٣) سبق تخريجه ص (٩٩).

(٤) رواه النسائي: كتاب العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).

سلام في المدارس والمساجد وغير ذلك، من غير حاجة إلى إحداث مال لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ ولم يقم عليه دليل شرعي، والله شتان، ونسأل الله لجميع المسلمين الهداية والتوفيق للاكتفاء بالسنة فذر من البدعة.

التمائم المنهي عنها^(١)

س: ما المقصود بالتمائم التي يكون بها الشرك، وهل يعتبر من علقها بكلاً لا تجوز الصلاة عليه؟

ج: التمام المنهي عنها هي ما يعلق على الصبيان والمرضى أو غيرهم؛ خرزات أو حلقات أو مسامير أو عظام أو غير ذلك، مما كانت تعمله هلية، ويلتحق بذلك في أصح قولي العلماء ما يعلق من القرآن أو أية شرعية، لعموم الأحاديث الدالة على تحريم ذلك والنهي عنه. من ذلك قول النبي ﷺ: «إن الرقي والتمائم والتولة شرك»^(٢)، وقوله «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»^(٣) رواية أخرى: «من تعلق تميمة فقد أشرك»^(٤).

لقوله لما رأى رجلاً في يده حلقة من صفر: «ما هذا؟ قال: من

مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٧٧، ٢٧٨).

رواه أحمد برقم (٣٦٠٤)، وأبوداود: كتاب الطب، باب في تعليق التمام، رقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمام، رقم (٣٥٣٠).

رواه أحمد برقم (١٦٩٥١).

رواه أحمد برقم (١٦٩٦٩).

الواهنة، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فلو مت وهي عليك أفلحت أبداً»^(١). وفي الباب أحاديث أخرى، وكلها تدل على تحريم تعدد التماثيل من أي نوع كانت، وهي من المحرمات الشركية، ولكنها الشرك الأصغر، إلا أن يعتقد من علقها أنها تدفع الشر عنه بنفسها دون عز وجل، فإنها والحال ما ذكر تكون من الشرك الأكبر.

أما من علقها معتقداً أنها سبب لدفع الأذى، أو دفع الجن، أو نحو ذلك فهذا من المحرمات الشركية شركاً أصغر، وليس ذلك من الشرك الأكبر. والمراد بالرقى المنهي عنها هي الرقى التي تكون بلسان غير معروف المعنى أو تشتمل على معانٍ محرمة، أما إذا كانت الرقى بكلمات معروفة المعنى، ولم فيها محذور شرعاً؛ كالرقى بالآيات القرآنية والدعوات النبوية أو الدعوات الشرعية التي ليس فيها ما يحرمه الشرع المطهر ولم يعتمد عليها الراقي ولا المرقى، ولا يعتقدان جميعاً أنها سبب من الأسباب، والشفاء من الله سبحانه وتعالى لا شفاء إلا شفاؤه، فلا بأس بها بالشروط المذكورة.

والمراد بالتولة نوع من السحر يُقال له الصرف والعطف، وكل أنواع السحر محرمة بل من المحرمات الشركية، لما جاء في ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على تحريم السحر، وأنه من الشرك الأكبر؛ والله ولي التوفيق.

* * *

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التماثيل، رقم (٣٥٣١).

الرقى المنهي عنها والجائزة^(١)

س: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرُقَى والتَّمَائِم والتَّوَلَةَ شرك»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان لي خال يرقى من العقب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرقى، قال: فأتاه فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرقى أنا أرقى من العقب. فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»^(٣).

ما هو الجمع بين أحاديث المنع والجواز في موضوع الرقى؟ وما حكم تعليق الرقى من القرآن على صدر المبتلى؟

ج: الرقى المنهي عنها هي الرقى التي فيها شرك أو توسل بغير الله، أو لفاظ مجهولة لا يُعرف معناها.

أما الرقى السليمة من ذلك فهي مشروعة، ومن أعظم أسباب الشفاء، يقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»^(٤)، وقوله ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»^(٥) خرَّجهما مسلم في صحيحه،

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٧٨، ٢٧٩).

(٢) سبق تخريجه ص (١٠٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والتملة والحمه، رقم (٢١٩٩).

(٤) رواه مسلم: كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، رقم (٢٢٠٠).

(٥) سبق تخريجه ص (١٠١).

وقال ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حُمّة»^(١) ومعناه لا رقية أولى وأشفى من الرقية من هذين الأمرين؛ وقد رقى النبي ﷺ ورُقي.

أما تعليق الرُقي على المرضى أو الأطفال، فذلك لا يجوز؛ وتُسمى الرقي المعلقة: (التمايم)، وتسمى: الحروز والجوامع، والصواب فيها أنها محرمة، ومن أنواع الشرك، لقول النبي ﷺ: «مَنْ لبس تميمة فلا أت الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له»^(٢)، وقوله ﷺ: «من تعلّق تميمة فقد أشرك»^(٣). وقوله ﷺ: «إن الرقي والتمايم والتولة شرك»^(٤).

واختلف العلماء في التمايم إذا كانت من القرآن أو من الدعوات المباحة هل هي محرم أم لا؟ والصواب تحريمها لوجهين:

* أحدهما: عموم الأحاديث المذكورة، فإنها تعم التمايم من القرآن وغير القرآن.

* والوجه الثاني: سد ذريعة الشرك، فإنها إذا أبيحت التمايم من القرآن اختلطت بالتمايم الأخرى، واشتبه الأمر، وانفتح باب الشرك بتعليق التمايم كلها، ومعلوم أن سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي من أعظم القواعد الشرعية، والله ولي التوفيق.

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، رقم (٢٢٠).

(٢) سبق تخريجه ص (١٠٠).

(٣) سبق تخريجه ص (١٠٠).

(٤) سبق تخريجه ص (١٠٠).

* * *

حكم تعليق الخيط في الرقبة أو اليد^(١)

س: يقول السائل: ما حكم الذي يتعلق خيطاً لرفع البلاء أو دفعه؟
 ج: هذا ينكر عليه؛ لأنه من الشرك الأصغر من جنس التماائم، والنبي ﷺ: «من تعلّق تميمة فلا أتمّ الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له»^(٢)،
 في رواية: «من تعلّق تميمة فقد أشرك»^(٣)، ولما دخل حذيفة رضي الله عنه
 في رجل وقد علق عليه خيطاً من الحمي قطعته حذيفة وأنكر عليه، وتلا
 له تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].
 بين له أن هذا من الشرك، فتعلق الخيوط والتماائم، من الودع، أو من
 ظام، أو من شعر الذئب، أو من عظام الذئب، أو أسنانه، كل هذا من
 ترافات الجاهلية، وهو من المنكرات.

وهكذا تعليق الحجب من القرآن أو من غيره ويسمونها الحروز،
 سمونها الجامعات كل هذا لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ عمّم النهي، ولم
 يثن قرآناً ولا غيره، ولأن استعمال القرآن يُفضي إلى استعمال غيره
 ففتح باب الشرك ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرقي والتماائم
 بقولة شرك»^(٤).

فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٥١).

سبق تخريجه ص (١٠٠).

سبق تخريجه ص (١٠٠).

سبق تخريجه ص (١٠٠).

* **والرقى:** هي الرقى المجهولة التي ليست على الطريقة الشرعية، ه التماائم فتعلق على الأولاد من العين، أو تعلق على النساء والمرضى الجن، كل هذا منكرو من عمل الجاهلية.

* **والتولة:** الصرف والعطف وهو السحر، فعده ﷺ من الشرك؛ لأنه است فيه بالجن والشياطين، فالساحر والساحرة إنما يتم لهما ما يتعاطيان السحر بواسطة عبادتهما الجن والشياطين والتقرب إليهم بما يرضيهم * **والخيوط:** من جنس التماائم؛ من علق على يده خيطاً، أو على رقبته يز أنه من أسباب الشفاء فهذا من المنكرات والواجب أن يقطع وينزع عنه

* * *

الحلف بغير الله^(١)

س: ما حكم الحلف بغير الله؟

ج: الحلف بغير الله لا يجوز، وهو من الشرك الأصغر أيضاً، وقد يك من الشرك الأكبر إذا اعتقد الحالف بغير الله أن هذا المحلوف به مثل الله. يصح أن يدعى من دون الله، أو أنه يتصرف في الكون من دون الله، فإنه يك شركاً أكبر، نعوذ بالله من ذلك.

والحاصل أن الحلف بغير الله لا يجوز، قال النبي ﷺ «من كان حـ

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٨١، ٢٨٢).

حلف بالله أو ليصمت^(١)» وقال: «لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم بالأنداد»^(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد أو أشرك»^(٣)، وفي رواية: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك»^(٤)، عليه السلام: «من حلف بالأمانة فليس منا»^(٥)، وكلها أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، وأدرك رسول الله ﷺ يومًا أصحابه بالسفر ففون بأبائهم، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بكم، من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت»^(٦).

وقال الإمام أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله المتوفى سنة ٤٦٣ هـ: إن ماء أجمعوا على أنه لا يجوز الحلف بغير الله، وهذا يدل على أن الحلف بالأمانة، أو بالنبي ﷺ أو بالكعبة، أو بحياة فلان، أو بشرف فلان، لا يجوز وإنما يكون الحلف بالله وحده، والله الموفق.

* * *

سبق تخريجه ص (٣١).

رواه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم (٣٢٤٨)، والنسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأمهات، رقم (٣٧٦٩).

سبق تخريجه ص (٣١).

سبق تخريجه ص (٣٠).

رواه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، رقم (٣٢٥٣).

رواه البخاري: كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، رقم (٣٨٣٦)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٦٤٦).

حول الطيرة والتشاؤم^(١)

س: ما التوفيق بين قوله ﷺ: «لا طيرة ولا هامة» وقوله: «إن كان الطيرة ففي البيت والمرأة والفرس؟» أفيدونا جزاكم الله خيراً.

ج: الطيرة نوعان:

* الأولى: من الشرك، وهي التشاؤم من المريئات أو المسموعات، فهذا يُقال لها طيرة، وهي من الشرك ولا تجوز.

* الثانية: مستثناة وهذه ليست من الطيرة الممنوعة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «الشؤم في ثلاث: في المرأة، وفي الدار، وفي الدابة^(٢)» وهذه المستثناة، وليست من الطيرة الممنوعة، لأن بعض يقول: إن بعض النساء أو الدواب فيهن شؤم وشر بإذن الله، وهو قدر، فإذا ترك البيت الذي لم يناسبه، أو طلق المرأة التي لم تناسبه، الدابة أيضاً التي لم تناسبه فلا بأس، فليس هذا من الطيرة.

* * *

حكم قراءة الكف والفنجان وضرب الودع^(٣)

س: يقول السائل: صاحب الودع وقارئة الفنجان والكف: هل هذا حرام

أم حلال؟

(١) مجمع فتاوى سماحة الشيخ (١/٢٨٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يُذكر من شؤم الفرس رقم (٢٨٥٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطيرة والفأل، رقم (٥٢٢٥).

(٣) فتاوى نور على الدرب (٢/١٣٩).

ج: كل هذا بدعة، وكل هذا منكر لا صحة له، صاحب الفنجان وقراءة
 كف ورمي الودع وضرب الودع أو الحصى، كله من تعايطي علم الغيب،
 باطل، ومنكر ولا صحة له، وهو دجل وكذب وافتراء، كونهم يدعون
 علم الغيب بأشياء أخرى غير هذا كذب، وإنما يعتمدون على ما تقول لهم
 يحايهم من الجن، فإن بعضهم يستخدم الجن ويقول ما تقول له الجن،
 مُدَقَّقون ويكذبون، يصدقون في بعض الأشياء التي اطلعوا عليها في
 بعض البلدان أو استرقوها من السمع، ويكذبون في الغالب والأكثر.

ويتحيلون على الناس حتى يأخذوا أموالهم بالباطل، وهكذا الإنس
 ين يخدمونهم يكذبون أيضًا ويفترون ويقولون هذا كذا وهذا كذا وهم
 بة، إنما يأكلون أموال الناس بالباطل.

علم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فهذا كله باطل وإن تكرر حدوث ما
 ببر به هؤلاء مثل أن يخبروا عن إنسان فعل كذا أو فعل كذا وهم قد شاهدوه
 مناطق أخرى، أو أشياء أخبرهم بها الجن أنها وقعت في بلاد كذا وكذا، أو
 حدث كذا، أو صار كذا، فهم ينقلون عن الجن أخبارًا أدركها الجن في بعض
 بلدان فأخبروا بها أولياءهم، وهذا كله لا صحة له، ولا يحكم بأنهم يعلمون
 شيء أبدًا، علم الغيب إلى الله سبحانه وتعالى.

لكن هناك أمور تقع في بعض البلدان فينقلها الجن بعضهم إلى بعض،
 شيء يسمع من السماء؛ يسمعون من الملائكة، إذا استرقوا السمع إلى
 السماء، فينقلونه إلى أوليائهم من الإنس، فقد تكون حقًا فيقع ويظن الناس
 كل ما فعلوا وقالوا صحيح، ويكذبون مع ذلك الكذب الكثير كما في

الحديث: «إنهم يكذبون معها مائة كذبة»^(١)، والبعض منهم يكذب أكـ
من مائة كذبة فلا يلتفت إليهم؛ لأن عمدتهم الكذب، وتعاطي الباطـ
والقول بغير علم، نسأل الله العافية.

والجن كالإنس فيهم الكافر وفيهم المبتدع وفيهم الفاسق وفيهم الطيب
فالفاسق للفساق، والكفار للكفار، والطيبون للطيبين، فالجن الذين
يكذبون لبعض شياطين الإنس بإخبارهم ببعض المغيبات التي سمعوها من
السماء، أو سمعوها من بعض البلدان، هؤلاء يفعلون ذلك لأنهم
خدموهم بعبادتهم من دون الله والذبح لهم ونحو ذلك.

فالجن يخدمونهم بهذه الأخبار وهذه الآثار التي يكذبون فيها، وقد
يصدقون في الشيء القليل، فيظنهم الناس صادقين في البقية.
التسمي بعبد الرسول وعبد الحسن^(٢)

س: نسمع أن هناك أناساً سموا أبناءهم بعبد الرسول وعبد النبي
وعبد الحسن فما توجيهكم في ذلك؟

ج: التعبيد لا يجوز إلا لله سبحانه، قال أبو محمد بن حزم الإمام
المشهور: «اتفقوا - العلماء - على تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله؛ كعبد
عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب».
ولا يجوز التسمية بالتعبيد لغير الله كعبد النبي، وعبد الكعبة، وعبد

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢١٠)، ومسلم

كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم (٢٢٢٨).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٧١١/٢).

، وعبد المحسن ، وعبد الحسين ونحو ذلك .
 ما عبد المحسن فلا بأس به لأن المحسن هو من أسماء الله سبحانه وتعالى .
 وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث
 مام ؛ كما روي عن ابن عمر مرفوعاً : « أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد
 وعبد الرحمن ^(١) » رواه مسلم وأبوداود والترمذي ، وفي رواية الطبراني
 ابن مسعود قال ﷺ : « أحب الأسماء إلى الله ما تعبد له وأصدق الأسماء
 م وحارث » ^(٢) .

* * *

رواه مسلم : كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم ، رقم (٢١٣٢) ،
 وأبوداود : كتاب الأدب ، باب في تغيير الأسماء ، رقم (٤٩٤٩) ، والترمذي :
 كتاب الأدب ، باب ما جاء في ما يستحب من الأسماء ، رقم (٢٨٣٣) .
 الطبراني : المعجم الأوسط (١/٢١٤) .

الفهرس

الصفحة	موضوع
٥	- وجوب عبادة الله وحده
١١	- التوحيد وأنواعه
١٨	- توحيد الربوبية
٢٣	- توحيد الأسماء والصفات
٢٣	- توحيد الألوهية
٢٩	- الشرك وأنواعه
٢٩	- الشرك الأكبر
٣٠	- الشرك الأصغر
٣٣	- الشرك الخفي
٣٧	- ارتكاب الكبائر يؤثر في التوحيد
٤٠	- شروط لا إله إلا الله وخطورة الجهل بها
٤٦	- معنى قول المصطفى «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»
٤٧	- نواقض الإسلام
٥٠	- توضيح معنى الشرك بالله
٥٣	- الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار

- ١٠ - حول الولاء والبراء
- ١١ - حكم سب الله ورسوله ﷺ
- ١٢ - سب الدين في حال الغضب ومراتب الغضب
- ١٣ - المزاح بألفاظ كفرية
- ١٤ - الاستهزاء بشعائر الإسلام
- ١٥ - تكفير المستهزئ بالدين وتارك الصلاة
- ١٦ - حكم السحر والسحرة وبيان علاج المسحور
- ١٧ - حكم التداوي عند السحرة والكهنة والعرافين
- ١٨ - الطريقة الشرعية لإبطال السحر
- ١٩ - حول نصيحة من كفر بالله
- ٢٠ - التحذير من النفاق وأهله
- ٢١ - القبوريون والعبادة
- ٢٢ - التبرك بالأموات
- ٢٣ - حكم طلب الشفاعة من النبي ﷺ
- ٢٤ - ما يشرع في التوسل بالنبي وما لا يشرع
- ٢٥ - الفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة الشريكية
- ٢٦ - حكم التوسل بالموتى وزيارة القبور
- ٢٧ - التقرب للأموات بالذبح والنذور
- ٢٨ - إقامة الموالد لأصحاب الأضرحة

- ٢٩ - احتفال المسلمين بالمولد النبوي ٩٣
- ٣٠ - التمايم المنهي عنها ٩٥
- ٣١ - الرقي المنهي عنها والجائزة ٩٧
- ٣٢ - حكم تعليق الخيط في الرقبة أو اليد ٩٩
- ٣٣ - الحلف بغير الله ١٠٠
- ٣٤ - حول الطيرة والتشاؤم ١٠٢
- ٣٥ - حكم قراءة الكف والفتجان وضرب الودع ١٠٢
- ٣٦ - التسمي بعبد الرسول وعبد الحسن ١٠٤
- الفهرس ١٠٧